الأعلام من الأدباء والشعراء

الأخطل

شاعر بني أمية

تأليف
أحمد حسن بسج

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٦٠٢١٣٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣ /١٢١٢ /٠٠٠ /٦٠٢١٣٣ /٩٦١١ /٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عزيزي القارىء

أضع بين يديك رسالة أخرى، تناولت فيها شاعراً من شعراء العصر الأموي وهو الأخطل غيّاث بن غوث التغلبي، شاعر بني أميّة. وبما أن الشاعر يمثّل عصره، كان لا بدّ من عقد فصل لدراسة البيئة، وتأثيرها، فعرضت الأحوال العامة في العصر وبيّنتُ انعكاساتها على الحركة الأدبية وما نتج عنها من اتجاهات تبعاً للاتجاهات السياسية والحزبية. ثم انتقلت إلى التعريف بالشاعر من خلال شعره ومن خلال المصادر التي ترجمت له. وحاولت، في الفصل الأخير، أن أتقصّى خصائصه الفنيّة من خلال أغراضه الشعرية. وقد سعيت إلى ذلك جاهداً، وارجو أن أكون قد وُفّقت في مسعاي، ألتمس العذر إن قصرت في بلوغ الغاية.

والحمد لله من قبل ومن بعد

بيروت: ٢٩ /صفر/ ١٤١٤ هجرية

١٧/٨/١٩٩٣ رومية

الفصل الأول

الأحوال العامّة في العصر الأموي

لمّا كان الأدب تعبيراً عن الحياة، وانعكاساً للنشاطات الإنسانية الحيّة، وما ينتج عنها، فإن الموضوعية تقتضي أن نشير ـ ولو باختصار ـ إلى مختلف وجوه الحياة، التي أثّرت تأثيراً عميقاً، بل وجّهت الأدب العربي، بشعره ونثره، توجّهات حملت سمات العصر الأموي بكل ما فيه من تناقضات، وصراعات وزهد وتقشّف، وفحش وثراء، وفقر وعوز، وترف وتبذير، وعلم وفكر، وثقافات وحضارات، ومناظرات ومحاضرات في العلوم المختلفة، وتأليف وتصنيف وتوسُّع في علوم جديدة.

الحال السياسية

فبعد أن كان عهد الراشدين، وقبله العهد النبوي، عهد تأسيس، وفتوحات، يأتي العصر الأموي، لتكتمل فيه صورة الدولة، بالمفهوم الذي عرف في بلاد الروم وبلاد فارس.

وبعد أن كان نظام الحكم شورى، صار ملكياً وراثياً، أيّام معاوية الذي أوصى لابنه يزيد بالمُلك من بعده، وأخذ له البيعة عن رضىً أو عن كره، مما أثار جهات كثيرة معارضة، فلم تبايع، خصوصاً أن أولئك المعارضين كانوا قد سكتوا على مضض طيلة خلافة معاوية. وكانوا يرون أن هذا الأخير قد اغتصب الخلافة من أبناء الإمام علي، وكانت من حقّهم، فالانشقاق الذي قاده معاوية في صفين أدّى إلى بروز ثلاث طوائف سياسية متنافسة: فئة وقفت مع علي ودافعت عن

الخلافة الشرعية، وعنيتُ بها أهل العراق والحجاز بالدرجة الأولى، وفئة حاربت مع معاوية وهي تتمثّل بأهل الشام. أمّا الفئة الثالثة، فأولئك الذين خرجوا يوم التحكيم على الإمام علي، ولم يقبلوا بما حصل وهم الخوارج، واتّخذوا من شرقي العراق مقرّاً لهم.

أما الفئة الأولى، فهي التي عرفت باسم الشيعة، الذين أصرُّوا على معارضة الأمويين، بعد وفاة معاوية، فاستدعوا الحسين بن علي إلى الكوفة ـ وكانت عاصمة والده ـ ليبايعوه، فلبّى طلبهم، ولمّا وصل إلى كربلاء التقاه رجال يزيد وقتلوه مع جماعة من أهل بيته. وكذلك الأمر مع المعارضين الآخرين من الصحابة فقد بايع عبد الله بن عمر، ولم يبق إلاّ عبد الله بن الزبير، الذي أعلن نفسه خليفة من مكّة المكرّمة، وقد بايعت له الجزيرة العربية والعراق واليمن ومصر وبعض أطراف الشام.

وقد حاول يزيد إخضاع ابن الزبير، فأرسل جيشاً إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقاتل أهل المدينة في معركة الحرّة واستباحها جند يزيد ثلاثة أيام قتلاً ونهباً[١]، وقد ذُكر أنّه قُتل في هذه الواقعة سبعمائة من الصحابة الكرام، مما ترك أسوأ الآثار في النفوس، فازدادت الأحقاد، وقد رثى الشعراء قتلى يوم الحرّة رثاءً حارّاً. ثم تابع الجيش طريقه إلى مكّة وفي طريقه مات مسلم بن عقبة، فتولّى القيادة مكانه الحصين بن نمير السّكوني، فحاصر البلد الحرام، ولكنّه لم يلبث أن فكّ الحصار وعاد إلى الشام عند وفاة يزيد سنة ٦٤ هـ.

كانت دعوة ابن الزبير، في هذه الأثناء، تتّسع وتنتشر، فدخلت في طاعته أقاليم جديدة منها خراسان، وازداد حنق الناس وغضبهم على

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري: ١/٥٥ وما بعد. والحرّة موضع قرب المدينة.

بني أميّة أينما كانوا. وفي الوقت ذاته، ظهرت في العراق، وتحديداً بالكوفة، دعوة شيعية يقودها المختار الثقفي، حيث دعا إلى مبايعة أحد أبناء الإمام علي وهو محمّد بن الحنفية، انتهت هذه الحركة بأن عزل ابن الزبير والي الكوفة وعيّن أخاه مصعباً عليها فقتل المختار الثقفي. كل هذه الأحداث سجّلها الشعراء حسب منطلقاتهم وأهوائهم.

أما في الشام، فقد اتخذ الصراع شكلاً آخر وهو القبلية، فقبائل قيس، ناهضت بني أميّة، وكانت معركة مرج راهط التي أسفرت عن نصر ساحق لمروان بن الحكم، وكان خليفة بالشام، ولم يلبث عبد الملك بن مروان أن جهّز جيشاً وتوجّه إلى العراق فقضى على مصعب بن الزبير ووجّه جيشاً بقيادة الحجّاج بن يوسف الثقفي إلى مكّة المكرّمة، فحاصر البيت الحرام ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، وظفر بقتل عبد الله بن الزبير بعد حصار طويل وقتال شديد، انتهى سنة ٧٣ هـ. وبذلك دخل الحجاز في طاعة بني أميّة، ولم يعد هذا الإقليم ومنذ ذلك التاريخ مقرّاً للثورات، على خلاف العراق، الذي لم يعرف الهدوء طيلة العهد الأموي، وقد تجمّعت فيه قوى المعارضة الرئيسة: كالخوارج، وكانوا في البصرة كثيرين، والشيعة في الكوفة، وكثيرون من أهل السيادة ومن أشراف العرب كانوا يعادون الأمويين لتكبّرهم ولظلم ولاتهم، وتعسّفهم، ولأنهم، منذ البداية هم غاصبون لحقّ ليس لهم، وما انتفاض عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة إلّا مصداق ذلك. ويضاف إلى هذه القوى، قوة أخرى جديدة، الا وهي قوة الأرقّاء، الذين لاقوا معاملة قاسية، فثاروا مراراً.

أمّا الخوارج، فقد انتشرت ثوراتهم وتوالت، فشملت الأقاليم

المختلفة في العراق والموصل وإيران واليمامة وحضرموت وعُمان. وكان هؤلاء قد ظهروا ـ كما أشرنا ـ عقب التحكيم بين علي رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان، فتنادى جزء من جيش علي وقالوا: «لا حكم إلاّ لله»، وخرجوا على طاعته وعدُّوه ضالاً هو ومن معه وكل من رضي بالتحكيم، واعتبروا أن الهجرة عنهم واجبة، فالتجأوا إلى حروراء، وعرفوا باسم الحرورية، والخوارج لخروجهم عن جماعة المسلمين. ومنذ ذلك الوقت، والخوارج ثورة دائمة ضد علي، الذي نكَّل بهم في موقعة النهروان، مما أدّى إلى أن قتل[1] ابن ملجم الخارجي الإمامَ علي رضي الله عنه. ولمّا انتقلت الخلافة إلى معاوية إثر تنازل الحسن بن علي، رأى الخوارج في ذلك زيفاً فلم يوافقوا، بل خرجوا بنظرية مفادها أن الخلافة ليست من حق فئة دون أخرى، فهي ليست حقاً لقريش، كما كان يدَّعي بنو أمية، ولكنها حق لله وينبغي أن يتولاّها أكفأ المسلمين وأصلحهم ولو كان عبداً حبشياً. لاقت دعواتهم هذه رواجاً في صفوف أهل التقوى، وكذلك انضمَّ إلى صفوفهم كثيرون من العرب والموالي. وقد عملوا على نشر معتقدهم هذا، واعتقدوا أنه واجب عليهم ولو اضطرُّوا لاستعمال القوّة، فثاروا في الكوفة سنة ٤٣ هـ بقيادة المستورد بن علفة وخسروا الجولة، ثمَّ ثاروا ثانية سنة ٥٨ هـ بقيادة حيّان بن ظبيان ولاقوا النهاية نفسها. وكذلك كانت حالهم في البصرة، خصوصاً أيّام ولاية زياد بن أبيه عليها، فأخذهم أخذاً شديداً، وكذلك ابنه عبيد الله الذي طاردهم ونكّل بهم. ومن المواقع الهامّة التي تمكّن فيها الخوارج بقيادة

---

(١) قُتل رضي الله عنه وعمره ٦٥ سنة أو ٦٣ سنة. حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/٥٣.

أبي بـلال مرداس أخي عـروة بن أديّـة الـذي كـان قتله عبيـد الله بن زيـاد، معركـة الأهواز حيث فشـل جيش الأمويـين بقيادة ابن حصن التميمي في اختراق صفوف الخوارج في منطقة «آسك»، وكذلك حلّ بجيش آخـر أرسله عبيد الله بقيـادة زُرعة بن أسلم العـامري، ولكن حملةً ثالثة بقيادة عبّاد بن علقمة تمكّنت من القضاء على تلك الجماعة، وقـد تنافس الشعـراء في تسجيل تلك الأحـداث. أمّا الخـوارج فقـد تصّـدوا لعبّـاد بن علقمـة وقتلوه، وانضمّ فـريق منهم لابن الـزبـير وحـاربوا معـه، ولكنهم انفضّوا عنـه عنـدمـا رأوه لا يقـول بمثـل مـا يقولون.

وقـد انقسم الخـوارج عـدّة شُعب، ومن أهمهـا جمـاعـة نـافـع بن الأزرق، وقد عُرفوا بالأزارقة، وكان يـرى أن دار الإسلام دار كفـر، ويجب الخروج عنها، وقد استباحت هذه الفرقة قتل الأطفال والنساء. ومن فـرقهم الأخرى والتي لم تـرَ رأي الأزارقة: النجـدات والصفريـة والأبـاضية، ورأى هؤلاء أن ديـار الإسـلام ليست ديـار كفـر، ويحـلّ التـزوّج من المسلمين ولا يحق قتـل أطفالهم، وقـالوا بشرعيـة الجهـاد والخروج إلّا الصفرية فقعدوا في حين خرج الأزارقة وخاضـوا حروبـاً دامية ضدّ عمّال بني أميّة، ومن قبلهـم ضدّ مصعب بن الزبير، وأنزلـوا بهم ضربـات مـوجعـة، حتى تمكّن أخيـراً المهلب بن أبي صُفـرة من القضاء عليهم قضاءً مبرماً سنة ٧٨ هـ. أمّا نجدة فقد حلّ في اليمامة والبحرين، ولم تعمّر دولتهم طـويلاً إذ زالت سنـة ٧٣ هـ إثر خـلاف نشب فيها بينهم.

هكذا كانت معارضة الخوارج، لا تخلو من سفك دمـاء، وثورات متتابعة. أمّا معارضـة الشيعة فكـانت في الجهر حينـاً وفي السرّ حيناً، حسب الـظروف، وكـانت الكـوفـة أهمّ معـاقلهم، وبـدأت حـركـة

المعارضة العلنية لبني أميّة عندما طلب أهل الكوفة من الحسين بن علي أن يأتي ليبايعوه، ثمّ خذلوه فقُتل في كربلاء كما أشرنا[1]، فتحوَّلت تلك المأساة إلى مأساة دائمة في نفوس الشيعة، ثم ما لبثت أن تتابعت صيحات الثأر من بني أميّة، فاندلعت ثورة التوّابين بقيادة سليمان بن صُرَد وقُضي عليها، وقد تفجَّع أعشى همدان على قتلى التوّابين[2]. ثم تولّى زعامة الحركة الشيعية المختار الثقفي الذي قُتل كما تقدَّم، فخلفه كيسان، الذي ادَّعى أنَّ الخلافة لعلي ولأبنائه من بعده بوصيّة النبي ﷺ، وقد بالغ أنصار كيسان، بأن زعموا لعلي صفاتٍ إلهية، يتناقلها الأئمّة فيما بينهم الواحد تلو الآخر، فكان هذا الفكر مقدمة لعقيدتي الحلول والتناسخ، ولم يتوقف كيسان عند هذا الحدّ، بل زعم برجعة علي، ليملأ الأرض عدلاً، والإمام عنده يعلم الباطن والظاهر.

ومن فرق الشيعة المعتدلة الزيدية، أتباع زيد بن علي وكان ثار في الكوفة أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ، وقتل. ومن الجدير بالذكر أن زيد بن علي لم يبالغ في دعواه ولم يتنكّر لأبي بكر وعمر، ومن أهم شعراء الزيدية الكميت بن زيد الأسدي. وخرج من بعد زيد، ابنه يحيى الذي قتل هو الآخر سنة ١٢٥ هـ. ثم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وقتل سنة ١٢٧ هـ.

هذه صورة موجزة للأحوال السياسية، وما رافقها من فتن واضطرابات فئوية وحزبية وعصبية، أيام بني أميّة، ولم تهدأ إلّا بعد سنة ١٣٢ هـ حيث أطاح بنو العباس بحكم بني أميّة، وما يهمّنا هنا

---

(١) في بداية هذا الفصل.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤٧٢/٤.

أن هـذا العصر شهد حـركة شعـرية نـاشطة، كـانت سجلاً حـافـلاً لأحداث العصر في مختلف المراحل، ومن مختلف الوجوه.

الحال الاجتماعية

الحجاز

شهـدت مكّـة والمـدينـة حـركـة حضـاريـة شـاملة وواسعـة، وإن كـانتا فقـدتا بعض الأهمّيّـة من الناحيـة السياسيـة مع انتقـال عـاصمـة الخـلافة أولاً إلى الكـوفـة، ثم إلى دمشق مـع بـدايـة الحكم الأمـوي. اكتسبت مـدن الحجـاز وخصـوصـاً مكّـة والمـدينـة مكـانـة مـرمـوقـة بين المدن الإسلامية، نـظراً لما كـانت تمثّله من تراث ديني من جهـة، ولتـدفّق رؤوس الأموال الـوفيرة، فنعم كثـير من الحجازيـين بـثروات طائلة مصدرها إما وراثي وإما من الأعطيـات التي أغدقهـا الأمويـون عليهم، كي يبعـدوهم عن معترك السيـاسة، كـانت نتيجـة ذلـك أن قامت نهضة عمـرانية شـاملة فبنى الناس القصـور وبالغـوا في زينتها، واتّخذوا الخدم من الغلمان والجواري، من أصول رومية وفارسيـة وغير ذلك، وأكثروا من ذلك حتى امتلك الواحـد من أثريـاء الناس بضـع مئات وحده.

وعلى العموم، فقد عاش الناس عيشاً رغيداً هنيئاً في كـلّ من مكّة والمدينة، لم ينغّص إلاّ في فترة خلافة ابن الزبير وحملة يزيد إلى المدينـة سنة ٦٣ هـ. وهكذا تمتّـع الحجازيـون بمختلف أصناف الـطيّبات من المـآكل والمشـارب والملابس، وبـالغت النساء بـاتّخاذ الحـلى والجواهـر وأصناف الزينة الأخرى.

أمّا الأمر اللافت للانتباه، فهو ازدهار الغناء والعزف، والسبب في ذلـك أن الكثيرات من الإمـاء، كنّ يـدرّبن عـلى أنـواع عـديـدة من المهارات كالغناء والعزف والإنشاد، ولما كنّ وافرات العدد، كـان من

الطبيعي أن تزدهر دور اللهو والطرب، فازدهر معها الشعر الغزلي الذي يُغنّى. وكان الغناء في بداية عهده تقليداً لما حملته المغنيات من بلادهنَّ، ولكن سرعان ما صار هنالك أصول وقواعد للأصوات والأنغام، ذات مميِّزات عربية مستقلّة.

وأقبل الفتيان المترفون إقبالاً شديداً على دور اللهو والطرب التي نشأت في البلدتين، فشاع ذكر مغنيات من أمثال جميلة، ودارتها شهيرة وكانت تجمع لديها عشرات المغنين والمغنيات. ومن المغنين طويس والغريض، ومن القيان أيضاً حبّابة وسلّامة، وذكر[1] أبو الفرج عشرات منهن. ومن الطريف، أنَّ سادات القوم وأشرافهم[2] كانوا يشاركون في جانب من جلسات الطرب والإنشاد، وكذلك النساء، من أمثال سكينة بنت الحسين التي كانت تجلس مع الشعراء والمغنين، وتفاضل بينهم، ويذكر أبو الفرج في ترجمته[3] لها أنّها كانت أنيقة حسنة الهيئة جميلة ذات وقار.

في ظلّ هذه البيئة نشأ شعراء كثيرون، بعضهم مال إلى الإباحة والتهتّك، منهم عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والبعض الآخر، تغزَّل غزلاً عفيفاً، مثل عروة بن أذينة وعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي. وبرز شعراء آخرون في الفنون الأخرى، ففي الهجاء عبد الرحمن بن حسّان، وابنه سعيد، وعبد الرحمن بن الحكم، وفي المديح، الأحوص وموسى شهوات ومدحا بني أميّة.

---

(١) الأغاني (ساسي): ٨/١٨٦.
(٢) الأغاني (ساسي): ٢/٢٣٨، ٨/٢٧٧، ٩/٢٥٠.
(٣) الأغاني (ساسي): ١٤/١٥٧.

البادية

هذا في حواضر الحجاز، أمّا في البادية، فقد استمرّت القبائل تعيش على ما تعوّدته من حياة الخشونة والبُعد عن مظاهر العمران والترف، وبذلك حمل أهل البادية العادات والتقاليد البدوية ولقّحوها بمبادىء أخلاقية دينية إسلامية، أبعدتها عن الفسق والغلو، إلاّ أنهم لم ينسلخوا تماماً عن طرائق عيشهم في المنافسة على الماء والكلأ، ولكنها منافسة لم تكن تشكّل خطراً كما كانت الحال في الجاهلية.

أمّا الحركة الشعرية، في البوادي، فإنها، في هذا العصر لم تكن كحالها في الجاهلية بسبب ضعف العصبيات القبلية، وبسبب الهجرات المتتابعة نحو البلاد المفتوحة. لا يعني أن الضعف كان عامّاً جميع الأغراض الشعرية، لأن الغزل شهد حركة واسعة وازدهر ازدهاراً ملحوظاً، وقد أفرط الشعراء في التعبير عن مشاعرهم المكبوتة، وعواطفهم الجيّاشة نحو الحبيبات، ونخصُّ بالذكر شعراء بني عُذرة وبني عامر، ومنهم جميل بثينة، وعروة بن حزام وقيس بن ذريح، وقد تغزّل هؤلاء غزلاً عفيفاً يخلو من الفحش والبذاءة فيه وقار واحترام للمرأة، ولا يخالف في كثير من جوانبه القيم والمبادىء الإسلامية.

الجزيرة وشمالي الشام

استقرّ في هذه المناطق عشائر قيس من بني كلاب وعامر وسُليم، كما أقامت في الشام قبيلة كلب وتغلب اليمنيّتين، فتصادمت المصالح واشتبكت، وغذّى ذلك تأييد بني أميّة لليمنين، فتفجّرت الصراعات الدموية فأعلنت قيس معاداتها لبني أميّة وثارت بقيادة زفر بن الحارث والضحّاك بن قيس، وأسفر الصراع عن هزيمة قبائل قيس في معركة

مرج راهط الشهيرة، ولكن المعارك شمال الجزيرة استمرَّت على قدم وساق حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث بدأت تستعيد هدوءها.

هذه الأحداث الدامية، ساهمت في بعث الحركة الشعرية والخطابية، فالصراعات السياسية والقبلية أفسحت المجال أمام تأجيج نيران الضغائن والأحقاد فاستعر الهجاء، وعاد سيرته الأولى كما كان أيام الجاهلية، وأهمّ الشعراء الذين هجوا وافتخروا من قيس زفر بن الحارث وعمير بن الحباب وجهم القشيري، ومن شعراء تغلب الأخطل ومن شعراء كلب عمرو بن المخلاة..

العراق

أقام الفاتحون المسلمون، ومنذ أيام عمر بن الخطاب، عندما استقرّ لهم الأمر في العراق وبلاد فارس، في مدينتين على الأطراف الشرقية للعراق وهما البصرة والكوفة. بنيت الكوفة سنة ١٧ هـ ونزلت قبائل اليمن في شرقيها، وقبائل العدنانية في غربيها، ثم توزَّعت خططها بحسب القبائل والبطون.

وكانت الكوفة محاطة بالزروع وخصوصاً من جهة الشرق، أمَّا من الغرب فمتنزَّهات كثيرة. وتعزَّزت مكانة الكوفة عندما اتخذها الإمام علي عاصمة له، ثم تولّى أمرها لمعاوية المغيرة بن شعبة الذي تعامل مع أهلها باللين، وخلفه زياد بن أبيه الذي تشدّد مع الكوفيين خصوصاً مع الشيعة، فأوقع بأحد زعمائهم حجر بن عدي وأرسله مع ستة إلى معاوية فقتلهم، وهكذا ازدادت النقمة الشيعية على بني أميّة فبكوا قتلاهم وتفجّعوا عليهم.

إنّ الفتن والاضطرابات، والعصبيَّات والانقسامات التي أشرنا إليها، لم تمنع أهل العراق من أن يأخذوا بأسباب الحضارة، وعلى

نطاق واسع، ومما ساهم في ذلك الترقي التمازج بين العناصر البشرية والعرقية المختلفة، فقد خالط العرب الفرس والهنود وبقايا الأراميين، فتأثروا بهم وأخذوا عنهم طرائق العيش الأكثر تطوراً، وساعد في تسريع العملية الحضارية الأموال الضخمة التي جناها الفاتحون المسلمون في خراسان، حتى قيل إن حصّة الفارس الواحد في بعض الغزوات كانت ثلاثين ألفاً من الذهب (١). ومما يذكر من مظاهر الثراء، ما كانت تدرّه الحمّامات، فكان يغلّ بعضها يومياً ألف درهم، ولا يخفى ما كانت تغلّه الأراضي الزراعية الخصبة، تذهب إلى أصحابها من كبار الإقطاعيين من عرب وغيرهم (٢)، ومن هؤلاء فيروز حصين، وحسّان النبطي ومسمار مولى زياد. وقد أدّى الثراء الواسع هذا، إلى نهضة عمرانية، فتسابق الجميع في بناء القصور الفخمة المزخرفة، فأنفقوا عليها الثروات الطائلة، وأحاطوها بالبساتين والحدائق(٣)، منها قصر زربي مولى عبد الله بن عامر، وقصر أبي نافع مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة، وقصر شيرويه الأسواري، وكان فيه ألف باب.

وتبع ذلك التأنّق في البناء، تأنّق في المآكل والملابس، فلبسوا الديباج والقلانس وطعّموا الجردق وكانت الثياب والأطعمة تُحمَل من البلدان القريبة والبعيدة، ويروى أن الحجّاج كتب إلى أحد عماله بفارس أن يبعث له «بعسل من عسل خلار»(٤)... واهتمّوا كذلك

---

(١) تاريخ الادب العربي - شوقي ضيف: ١٩٦/٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٦/٢.
(٣) البيان والتبيين: ٨٢/٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٠٣/٢، وخلار: موضع بفارس مشهور بالعسل.

بوسائل اللهو والتسلية فتسابقوا على الخيل، واستمتعوا بالصيد، ولعبوا الشطرنج والنرد، وجنح كثيرون إلى المحرّمات فشربوا الخمرة، واستباحوا الاستماع إلى الغناء والمعازف، وكانت شهدت المنطقة حركة غنائية ناشطة، فاستقدم المغنون والمغنيات من الحجاز، وفتحت لهم دور الغناء مثل دار ابن رامين[1]. ومن المغنين العراقيين: حنين الحيري وأحمد النّصْبي[2].

أمّا في خراسان، فقد أصاب الفاتحون المسلمون الأموال والغنائم التي يقصر عنها الوصف، وممّا يُروى أن الأمراء والدهاقين كانوا يقدمون على ولاة خُراسان بالهدايا النفيسة، وقوّمت إحداها لأسد بن عبد الله القسري بألف ألف، وهي قصر من فضة وآخر من ذهب وأباريق وصحاف فضية وذهبية[3]. والولاة هم بدورهم يرسلون بالهدايا والأموال الكثيرة إلى الخلفاء في دمشق. ومظاهر البذخ أكثر من أن نتعقّبها الآن فليراجع في ذلك الأغاني والطبري في تاريخه.

ونلحظ هنا أيضاً، في خراسان، ما ألمحنا إليه سابقاً، من أن الثراء الواسع كان سبباً في توجّه البعض نحو اللهو حتى الإسراف، والغوص وراء المحرّمات كالخمرة والمجون والتخنث والتشبّه بالنّساء[4].

الشام

تألف سكان الشام من أكثرية مُضرية عربية، لذلك لم يكن

---

(١) الأغاني: ١٥/ ٦٠.

(٢) تاريخ الأدب العربي ـ شوقي ضيف: ٢/١٩٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢/١٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٩.

للصراعات القبلية شأن يذكر، فتفرّغ النّاس إلى شؤونهم، واستمتعوا بما وجدوه من المباني والقصور المشيّدة التي أخذوها من الروم، واستخدموا أبناء الروم وبناتهم، فتحضّروا بعد بداوة، وانفتحوا على وجوه الحضارة اليونانية الرومانية، ونعموا بثراء واسع، فكانت تحمل إلى دمشق العاصمة أحمال الذهب والفضة والغنائم الأخرى من كل البقاع، فأمرع الناس وأخصبوا، فاتخذوا الأواني الفضية والذهبية، خصوصاً وأن حكّامهم من بني أميّة أغدقوا عليهم الأموال الوفيرة، لكسب ودّهم وتأييدهم، وأسرف كثير من الأثرياء وأهل الحكم في اللهو والملذّات، واهتمّ بعضهم بالعمران فشادوا القصور وزخرفوها وزيّنوها بصفائح الذهب، وبنوا المساجد الفخمة كما في جامع بني أميّة الكبير في دمشق، وجدّدوا عمارة المسجد الحرام بمكّة المكرّمة، ومما يروى عن الترف الملكي ما كان أيام يزيد بن عبد الملك الذي كان «يشرب الخمر ويلبس الحُلّة قوّمت بألف دينار. . . حبّابة عن يمينه وسلّامة عن يساره تغنيانه»(١). وقد بلغ ذلك أوجه في عهد ابنه الوليد، حتى ليُقال إنّه «كان يلبس حول عنقه قلائد ذهبية مرصّعة بالأحجار الكريمة، ويغيّرها في اليوم مراراً كما تغيّر الثياب شغفاً»(٢).

والإماء كن يتمتّعن بقسط وافر من الحرية والجمال والثقافة أيضاً، لذلك كنّ ينافسن الحرائر في الاستحواذ على قلوب الرجال، مما دفع المرأة عموماً نحو المزيد من العناية بنفسها: بجمالها وأناقتها ولبسها؛ وهنالك روايات كثيرة عن النساء الأرستقراطيات تدلّ على مبالغتهنّ في التأنّق والبذخ، فقد حجّت عائشة بنت طلحة بموكب أذهل الناس

---

(١) البيان والتبيين: ٢/١٢٣.

(٢) الأغاني (ساسي): ٧/٥٩.

ما جعل عاتكة بنت يزيد بن معاوية تقول: «ما عند الله خير وأبقى»[1].

خلاصة القول: إن هذا الترف الزائد، والنعيم المقيم، قد صقل الأذواق وهذّبها، وفتح عيون الشعراء نحو موضوعات جديدة، وأفكار استوحوها من واقع البيئات المتحضرة، لم يكونوا على عهد بها سابقاً.

الحال الثقافية:

تكوّنت ثقافة هذا العصر من مصادر مختلفة: مصدر جاهلي عربي قديم وقوامه الشعر وأيام العرب ومواقعهم في الجاهلية وعاداتهم وتقاليدهم وأنسابهم ومعرفتها، فانكبّ الدارسون في العصر الأموي على هذه المادة الغزيرة فحفظوها وسرعان ما وضعت المؤلفات في المجالات المذكورة، فمنها في الأنساب ومنها في رواية الأخبار والمواقع، وهكذا نشأت تخصُّصية في التصانيف، من الرّواة عُبيد بن شريّة ودغفل بن حنظلة النسّابة وغيرهما كثير.

وشكّل الدين الحنيف المصدر الثاني والأهم، من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسُنّة النبوية، يُضاف إلى ذلك ما وفّرته الفتوحات والأحداث التاريخية المتلاحقة، داخلياً وخارجياً، من مادة غزيرة للأدباء والدارسين، فوضعت مؤلّفات تاريخية، هدفها تسجيل الأحداث كما هي فجمعوا الأخبار وسجّلوا وقائعها وتفاصيلها، خصوصاً ما يتعلّق بأخبار النبي ﷺ أو سيرته، وكذلك أخبار الخلفاء الراشدين و. ں جاء من بعدهم.

---

(١) الأغاني: ١١/١٨٨.

أمّا التيّار الآخر، فكان يهتم بالشريعة وعلومها في الأصول والفروع، والقراءات والحديث النبوي فجمعوا الأحاديث وتعقّبوها، واستقصوا ليميّزوا بين الصحيح وغيره ورتّبوها ودوّنوها بطرق ومناهج استفادوها من غيرهم، ومن المشتغلين في العلوم الدينية بمكّة تلاميذ عبد الله بن عبّاس ومنهم عطاء وعكرمة، وفي المدينة سالم بن عبد الله بن عمر ومولاه نافع، والزهري وغيرهم. وفي الكوفة الشعبي وسعيد بن جبير، وفي البصرة الحسن البصري، وقتادة، وفي الشام مكحول والأوزاعي..

وفي موازاة ذلك نشأت فئة من المعلّمين[1] والمقرئين، عملوا على تعليم أبناء الطبقة الأرستقراطية القرآن والأدب مثل عبد الصمد بن عبد الأعلى، ومن معلّمي أولاد العامّة الحجاج في الطائف والكميت بن زيد في الكوفة.

أمّا المصدر الثالث الذي أمدّ الثقافة العربية في عصر بني أميّة فأجنبي، ويتلخّص دور هذا المصدر في أن المخالطة بين العرب والفرس والهنود وغيرهم في البيئة العراقية والحجازية والشامية وكذلك المصرية، ففي كل من هذه الأقطار لعب هؤلاء الذين يتحدّرون من بلاد وأمم عريقة في حضارات وعلوم مختلفة، وهم أصحاب مهارات متعدّدة، فنقلوا معارفهم: من علوم النبات والريّ والهندسة وكذلك العلوم الإدارية، في ضبط الدواوين وتنظيمها، وهكذا استفادت الدولة الناهضة من خبرات الأمم المجاورة، فوضعت أسس الدولة التي تضمن لها القيام والاستمرار بعيداً عن الفوضى الإدراية، كما

---

(١) البيان والتبيين: ١/٢٥١.

تضمن لها اقتصاداً قوياً خصوصاً في مجال الزراعة، التي صارت تعتمد وسائل أكثر تطوُّراً.

ولم يتوقّف دور الأجانب على نقل العلوم التطبيقيّة، لكنّهم قدّموا علومهم النظرية، فكانت مدرسة جند يسابور في بلاد فارس، ومدرسة الرها وقنسرين والإسكندرية وفي مناطق كثيرة من الشام والعراق ومصر، قدّمت تلك المدارس ثقافة هي خليط من التراث الفكري الديني ذي الأصول اليونانية والسريانية وغيرها ممزوجة بالفكر الديني النصراني، وكانت هذه المدارس هي القنوات الأولى التي نقلت علوم المنطق والحساب والفلسفة إلى المسلمين، فنشطت حركة الترجمة والنقل عن المصادر المذكورة أعلاه، خصوصاً في علمي الحساب والمنطق ثم تشعّبت لتشمل معظم العلوم التطبيقية دون الفلسفة والآداب.

وهكذا، صار العقل العربي يمتلك القدرة على الجدل والمناظرة، وفق المناهج المنطقية الرياضية، فهو قادر على القياس والاستنباط والمقارنة والاستنتاج، وهم لا تنقصهم الحجة بما يتوفّر لديهم من الأدلّة والبراهين من خلال الكتاب والسنّة. وبذلك تنشطت المناظرات بين الحركات الدينية، بعد أن اكتملت العناصر الفكرية التي يقوم عليها كل مذهب.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المناظرات قد أظهرت الاختلافات جليّة بين الأفرقاء، فنشأت عن ذلك المذاهب الدينية والفكرية وغيرها، وصار العقل عند كثيرين إماماً، فيقول أيوب السختياني: «لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف»[1]، فظهر تيّار

(١) البيان والتبيين: ٢/٩٨.

سُمّي بتيّار أهل الرأي أو القياس إلى جانب تيّار آخر بالغ في تعظيم العقل وهم المعتزلة، فقد مجّدوا العقل إلى درجة خروجهم عن الصواب، فقالوا بأن الإنسان خالق لأفعاله ومرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا في الجنّة ـ على زعمهم ـ ولا في النار، وفي ذلك خروج عن اعتقاد أهل الحق كما لا يخفى على ذي لب. وناظرهم في ذلك الفقهاء والمتكلّمون من أمثال الحسن البصري. ومن الفرق الأخرى، المرجئة ورأوا أن الأحكام على أعمال العباد ليست من شأنهم، ولكن الأولى عندهم ترك ذلك حتى يحكم الله في الأعمال عند الحساب.

وقد تصدّى لهم أهل الحق بالمناظرة عبر الأدلّة المقنعة، واستدعى عمر بن عبد العزيز أئمّتهم وناظرهم، وكان منهم عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الذي اقتنع، وعاد عن مذهبه وتشيّع بعد ذلك وقال[1]:

وأول ما نفارق غير شكّ   نفارقُ ما يقول المرجئونا
وقالوا! مؤمن من أهل جَور   وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال   وقد حُرِّمت دماء المسلمينا

ومن المرجئة الشاعر الشهير ثابت قُطنة[2] الذي يقول مصوّراً عقيدته:

المسلمون على الإسلام كلهم
والمشركون أشتوا دينهم قِددا[3]

(١) تاريخ الأدب العربي ـ شوقي ضيف: ٢/٢٠٥.
(٢) من شعراء خراسان وفرسانهم، توفي سنة ١١٠ هـ.
(٣) قِدد: فِرق.

وما قضى الله من أمرٍ فليس له
ردٌّ وما يقض من شيء يكن رَشَدا
كلّ الخوارج مخطٍ في مقالته
ولو تعبّد فيما قال واجتهدا

هذه المناهج والطرق الجدلية في الحوار والمناظرة، أثّرت في المتعلّمين والمتأدّبين والشعراء، فصار الشعراء يعبّرون عن المعتقدات ويدافعون عنها في المحافل العامة والخاصة، حتى انعكس ذلك على الأغراض الشعرية الأخرى كالهجاء، كما في نقائض جرير والفرزدق، إذ تجادلا في مناقب قبيلتيهما وتفاخرا وتهاجيا بعنف، على طريقة المناظرين المتكلّمين في الردّ والردّ المضاد.

الفصل الثاني

الأخطـــل

نشأته وسيرته

الأخطـــل[1]

(١٩ هـ - ٩٠ هـ)/(٦٤٠ م-٧٠٨ م)

هـو غيّـاث بن غـوث بن الصلت بن طـارقـة بن عمـرو، من بني تغلب، كنيتـه أبو مـالـك، واسم أمّـه ليـلى[2]. والأخـطل لقب غلب عليه، لسفاهته، وقيل لأنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غـلام، إنّك لأخطل، فغلبت عليـه. وقيل: سُمّي بـذلك لبيت من الشعـر، وكان دخل بين ابني جُعيل وأمّهما فقال:

لـعمـرُك إنّـني وابني جُـعـيـل وأمّـهـما لإسـتـارٌ لئـيـمُ

فقال ابن جعيل: يا غلام، إن هذا لخطل من رأيك.

نشأته وتديّنه:

وُلِـد الأخطل بـالحيرة[3]، ودان بـالنصرانية كـوالديـه، وأكثر أهـل قبيلته، فلم يحد عن دينه، مع أن كثيرين عرضوا عليه الإسلام ولكنه

---

(١) ترجمته في: الأغاني: ٨/٢٨٠. الشعر والشعـراء: ٣١٩. طبقات الشعـراء: ١١١. سـير أعـلام النبـلاء: ٤/٥٨٩. تـاريـخ الأدب العـربي لـبروكلمان: ١/٢٠٤. الأعلام: ٥/١٢٣.

(٢) وكانت من قبيلة إياد.

(٣) وفي الأغاني: «وكان نصرانياً من أهل الجزيرة».

لم يهتد. وممن فعلوا ذلك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي قال[1] له: «ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها، وإن أولها لمر وإن آخرها لسُكر! فقال: أما إذا قلت ذلك فإن فيها بين هاتين لمنزلةً ما ملكك فيها إلا كعُلقة ماءٍ من الفرات بالإصبع».

ولا ينبغي لنا أن نفهم بأنه كان ملتزماً بكل ما يطلبه منه دين النصرانية، فهو كان يستغل الحرية الدينية ليتمتّع بالخمرة وغيرها مما حرّمه الإسلام[2]. وكان يستخفّ بدينه أحياناً، من ذلك أنه كان يحلف[3] باللات والعزى، ومنه قوله، عندما ضربه القس: «إذا جاء الدين ذللنا»[4]، ومثله عندما سجنه القس في الشام لبذاءة لسانه، فتشفّع به أحد بني هاشم فأطلقه القس، فقال رداً على تعجّب الهاشمي من خضوعه: «إنه الدين، إنه الدين»[5].

ويرى كثيرون أن خضوعه هذا، وتعليقه على ضرب رجل الدين له، أنه دليل على تديّنه وتمسّكه بدينه، ولكن الرّوايات المختلفة التي وصلتنا تدلّ فعلاً على أنه كان ينظر إلى رجال الدين النصارى نظرة احتقار، وهم لا يستحقّون أي احترام ومع ذلك كان ينصاع لهم!

قال[6] صاحب الأغاني: «كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان

---

(١) الأغاني: ٨/ ٢٩٠.
(٢) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان: ١/ ٢٠٥.
(٣) الأغاني: ٨/٢٨٨.
(٤) الأغاني: ٨/٣٠٣.
(٥) الأغاني: ٨/ ٣١٠.
(٦) الأغاني: ٨/ ٣١٠.

متمسّكاً بدينه، فمرَّ به الأسقف يوماً، فقال لها: الحقيه فتمسّحي به، فعدَتْ فلم تلحق إلاَّ بذنب حماره، فتمسّحت به ورجعت، فقال لها: هو وذنب الحمار سواء». وقد سمعه هشام بن عبد الملك يقول:

إذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجِدْ
ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال هشام: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام! فقال له: يا أمير المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني[1]. وممّا يدل على عدم تقيّده بقواعد دينه، أنّه طلّق زوجته، وتزوّج من أخرى، ومع ذلك كان يزور دور اللّهو والغناء ويشرب الخمرة ويتغزّل بها.

ومن أخباره في صباه أنّه كان يعاني ضيقاً وفقراً، فاحتال ذات يوم على أمّه ـ وقيل على زوجة أبيه ـ فأخرجها من البيت، وكان جائعاً فأتى ما في شكوتها من الزبيب والتمر، ولما رجعت علمت ما دهاها فعمدت إلى خشبة لتضرب بها فهرب وقال:[2]

ألمّ على عنبات العجوز وشكوتها من غياث لممْ[3]
فظلّت تنادي ألا ويلها وتلعن واللعن منها أممْ

وقد أمضى فترة من شبابه ما بين الكوفة والبصرة، متنقّلاً بين أشراف قومه، يمدحهم متكسّباً، وسرعان ما يتوجّه إلى الشام لما سمعه من كرم ملوك بني أميّة، وكان كعب بن جعيل التغلبي سبقه، ونال حظوة لدى معاوية، ما شجّعه للإقامة ما بين دمشق والجزيرة

---

(١) الأغاني: ٨/ ٣١٠.

(٢) الأغاني: ٨/٣٠٢.

(٣) غياث: اسم الأخطل. الشكوة: الوعاء.

حيث يقيم قومه من تغلب، وتزوّج منهم وشارك في الذود عنهم بلسانه، وهجا أعداءهم من القيسية، وقد تعرّض لخطر الموت في بعض غارات القيسيين على قومه، ولكنه ينجو ويقع في الأسر، ثم يهرب بعد تضليل سجّانه بأنه عبد خادم(١)، إلّا أنه يُصدم بمقتل أحد أبنائه، ولا نعرف أيهم، فالذين ترجموا له لم يذكروا عدد أولاده، وكل ما نعرفه أنه يُكنى أبا مالك.

اتصاله بالحكّام:

علمنا أنه ترك موطنه في العراق واتجه إلى الشام عاصمة الخلافة، وكان يزيد بن معاوية قد طلب من كعب بن جُعيل، شاعر معاوية، أن يهجو الأنصار، ردّاً على بعض شعرائهم(٢)، وكان تغزّل برملة بنت معاوية وقال فيها:

ثُمَّ خاصرتُها إلى القبَّة الخضراء
تمشي في مرمرٍ مسنونِ

ويرفض كعب ذلك بشدّة، يرفض أن يهجو قوماً آووا النبي ﷺ ونصروه، إلّا أنّه يدلّه على الأخطل ويشبّه لسانه بلسان ثور لسلاطته، فاتصل به يزيد وضمن له الحماية، فانطلق يهجو الأنصار هجاءً عنيفاً ومما قاله:

ذهبت قريش بالسماحة والندى   واللؤم تحت عمائم الأنصار

وأبيات أخرى شنيعة إذ شبّههم باليهود وحطّ من قدرهم، ممّا

(١) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان: ١/٢٠٦.
(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ١٠٤ هـ.

أغضب النعمان بن بشير الأنصاري، فاشتكى إلى معاوية وطلب منه أن يبيعه لسان الأخطل، فباعه، ولكن يزيد يستدرك الموقف ويتدخّل لدى والده، فيضمن حياة الأخطل ولسانه.

ويتولّى يزيد الخلافة سنة ٦٠ هـ فيدعو الأخطل إليه ويدنيه ويكرّمه، وكذلك فعل خلفاؤه، فأسبغوا على شاعرهم النعم والعطايا، وبلغ أقصى غايته أيام عبد الملك بن مروان.

ولم تتنغّص حياته إلاّ أيام هشام بن عبد الملك لما عرف به من بُخل، وامتدحه ذات يوم فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها[1] وخرج واشترى بها تفاحاً، وفرّقه على الصبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبّحه الله! ما ضرّ إلاّ نفسه.

وكذلك ساءت حاله أيام الوليد بن عبد الملك الذي جافاه، وقرّب غيره.

ومن المفيد أن نتوقّف قليلاً على أخباره مع عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، لنتبيّن غور العلاقة بينهما ومدى تأثيرها على شاعريته. فقد أعجب به عبد الملك وأجزل له العطاء، ولمّا رآه يكيل لخصوم الدولة من القيسية وغيرهم ازداد إعجاباً به، حتى صار ينطق باسم البيت الأموى، ويدافع عنهم وعن حقّهم في السلطة، فهجا الطامعين من الأحزاب الأخرى واستصغر شأنهم، وأغلظ لهم، ولم يكن يتحرّج في هجائهم لنصرانيته، وعبد الملك في كل ذلك يبدي الرضى، ويجزل العطاء، ويتغاضى عن تصرّفات شاذّة ارتكبها الأخطل، من ذلك أنه كان يدخل عليه ورائحة الخمرة تفوح منه

---

(١) الأغاني: ٨/٣٠٤.

والصليب يتدلّى من عنقه، ويلبس الخز، ويدخل، في كثير من الأحيان، على الخليفة دون استئذان[1].

وتمرُّ الأيام، ويعلي عبد الملك منزلة الأخطل، فيخرج من ينادي بالناس بأن الأخطل شاعر بني أميّة[2]، و«هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا شاعر العرب».

أمّا الآخرون الذين اتصل بهم ومدحهم من خلفاء وولاة منهم: الوليد بن عبد الملك وهشام أخوه، ولم يكرِّماه كما بيّنّا، ومن الولاة: بشر بن مروان وكان والياً على الكوفة، والحجّاج بن يوسف، وخالد بن يزيد بن معاوية، وعبد الله بن معاوية، ومن الأجواد مدح سِماكاً الأسدي. ومن القوّاد: مصقلة بن هبيرة، وعكرمة بن ربعي، وغيرهم.

ثقافته:

ترتبط ثقافة الأخطل بنشأته الدينية أولاً، فقد أتاح له دينه أن يطّلع على الإنجيل والتوراة وما فيهما من أخبار ومعتقدات كما اطلع على اليهودية والإسلام، فترك كل ذلك آثاره في شعره وفكره. قال[3] في مدح يزيد بن معاوية:

جزاك ربّك عن مستفرَدٍ وَحِدٍ ... نفاه عن أهله جُرمٌ وتشريدُ
جزاء يوسف إحساناً ومغفرةً ... أو مثل ما جُزي هارونٌ وداودُ
أو مثل ما نالَ نوحٌ في سفينته ... إذ استجاب لنوحٍ وهو منجودُ

(١) الأغاني: ٨/٢٩٩.
(٢) الأغاني: ٨/٢٩٤.
(٣) ديوانه: ٧٩.

وواضح ما في الأبيات من أسماء للأنبياء، ولا يتأتّى ذلك إلّا لمن اطلع على أخبار الأنبياء.

أمّا المصدر الثاني لثقافته فيتمثّل بالنشأة البدوية التي نشأها، فنهل من أخلاق أهل البادية، وحفظ أشعار الجاهليين واطلع على أيام العرب ومواقعهم وتقاليدهم، وكان يعينه في فهم واستيعاب ما يسمعه، قوة حافظة وشدّة ملاحظة، ونباهة مفرطة، فتأثّر بالنابغة الذبياني ونسج على منواله، في أناته وتنخيله، وأعجب بالأعشى، فسار على خطاه في وصف الخمرة.

ولكن، لا يبدو لنا أنه اطلع على العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق، ولم يتأثّر كثيراً بما كان يدور من حوله من مناظرات جدليّة محورها الدين والعقائد، والسبب في ذلك أن مذهبه في الحياة يقوم على دعامتين: اللذّة والمتعة ووسيلة ذلك المال الذي كان يجنيه من مدائحه للحكّام والخلفاء، والدعامة الثانية، تعصُّبه القبلي القائم على المصلحة التي كان يحرص عليها، فمن هنا كان الحافز الديني عنده ضعيفاً، فلم يُقبل على الإسلام، ولا هو تعمّق في أصول دين النصرانية، وهذا ما يفسّر معاقبة القساوسة له بين الحين والآخر.

وفاته:

توفي سنة ٩٠ هـ أو ٩٢ هـ وقيل ٩٥ هـ، قبل وفاة معاصره الفرزدق بسنوات، وقيل له عند وفاته: أتوصي أبا مالك؟ فقال(١):

أوصي الفرزدق عند الممات ... بأمِّ جريرٍ وأعيارِها
وزار القبور أبو مالكٍ ... برغمِ العُداةِ وأوتارِها

(١) طبقات فحول الشعراء: ١٧٧.

الفصل الثالث

أغراضه الشعرية

إن نشأة الأخطل، وحياته البدوية، ومواقفه من قضايا عصره، ومشكلات قبيلته تغلب، وصراعات القبائل والأحزاب وتنافرها، وبحكم موقعه المميّز في البلاط الأموي، كل ذلك جعله ينهج طريقاً في الشعر يختلف قليلاً عن نهج كلٍّ من صاحبيه ومعاصريه: الفرزدق وجرير، فضلاً عن تمتّعه بخلفية دينية تزيد في الفروقات القائمة بينه وبين أقرانه عموماً. كل ذلك أثّر في التعبير عن أفكاره بشكل يضمن له تحقيق غاياته وأهدافه الشخصية منها والقبلية، وبالوسائل التي يملكها للضغط والتأثير انطلاقاً من خلفياته الدينية والسياسية والثقافية والقبلية.

المديح:

إذا كان المديح من أكثر الأغراض الشعرية شيوعاً في الجاهلية، فقد ضعف صوته وانخفض في صدر الإسلام، وما بقي منه تحوّل إلى مديح صادق، لا يبغي الشاعر من ورائه إلاّ التعبير عن عواطفه بصدق، ويكشف عن إعجابه بفضائل ممدوحه دون مقابل، ودارت أكثر المدائح في ذلك العصر حول النبي ﷺ، وحول الخلفاء الراشدين من بعده. أما في العصر الأموي، فقد عاد المديح إلى سابق عهده، مع وجود شعراء فحول كانوا يجيدون الصنعة وعندهم من الدوافع ما يكفي ليكونوا مدّاحين، وأهم هذه الدوافع الصراعات القبلية والانقسامات المذهبية والسياسية وتعدّد الأحزاب، فضلاً عن تشجيع

كثيرين من الخلفاء والعظماء الشعراء بمكافأتهم على مدائحهم. أمّا فيما يتعلّق بالدافع الأول، فقد اتخذت كل فئة شعراء لها، كانوا يشكّلون الأبواق الناطقة، التي تدافع وتنافح وتتغنّى بمآثر هذه الجهة أو تلك، وكان مدح القوّاد من مظاهر هذه الحركة، وقد ارتبط هذا النوع من المدح بالسياسة، لذلك يطلق عليه أيضاً الشعر السياسي لعلاقته الوثيقة بالسياسة.

أمّا الدّافع الثاني للمدح، فكان المال، وقد مدح كثير من الشعراء دون اقتناع منهم طمعاً بالمال، أو خوفاً من ذوي السلطة، وتجنّباً لبطشهم، كما كان يفعل الكميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ، وعبد الله بن قيس الرقيات (. . . - ٧٥ هـ)، ومدح عبد العزيز بن مروان في مصر. فكان لهؤلاء أهواؤهم السياسية المناوئة لبني أميّة، ومع ذلك كانوا يمدحونهم رهبةً وطمعاً، فالكميت هاشمي الهوى، وعبيد الله زبيري.

أمّا الأخطل فقد اختصّه بنو أميّة، واختاروه من بين عشرات، ليكون شاعرهم المفضّل، والناطق باسمهم، الذائد عن حياضهم، العامل على تثبيت حكمهم. وقد أشرنا[1] إلى أولية اتصاله بالأمويين، أيام معاوية، وكان ذلك بطلب من يزيد ليردّ على الأنصار، وهم خصوم للأمويين، وأيام يزيد صار الأخطل ذا قدم راسخة في البلاط الأموي، فهو نديم يزيد، ورفيقه وملازمه حتى في حجّه إلى البيت الحرام[2].

قال يزيد في الحج وقد اشتاق إلى أهله:

---

(١) من هذا الكتاب. ص ٣٠.

(٢) الأغاني: ٨/٣٠١.

بكى كل ذي شجوٍ من الشأم شاقه
تهامٍ فأنّى يلتقي الشجيّان

وقال: أجز يا أخطل، فقال الأخطل:

يغور الذي بالشأم أو يُنجد الذي
بغورِ تهاماتٍ فيلتقيان

ولمّا توعّده الأنصار، التجأ إلى يزيد، فليس غيره من يحميه، وكان معاوية قد تهدّده أيضاً، إن لم يمتنع عن هجاء الأنصار بقطع لسانه، فتدخّل يزيد لدى والده قائلاً: «يا أمير المؤمنين، أتهب لسان من غضب لك، وردّ عنك؟» وراح ينشده ما قاله عبد الرحمن بن حسّان في رملة بنت معاوية، إلى قوله[1]:

ثم خاصرتها إلى القبّة الـ خضراء تمشي في مرمرٍ مسنونِ

فقال معاوية: «أما في هذا فقد أبطل!». فقال يزيد: «إني جعلت له ذمّتك وذمّتي، إذ ردَّ عنّي، فقال معاوية للنعمان بن بشير شاعر الأنصار وزعيمهم: لا سبيل إلى ذمّة يزيد». ويبدو أنّ الأخطل تهيّب الموقف وكفّ، منذ ذلك الوقت، عن إيذاء الأنصار.

وها هو الأخطل يمدح يزيد ويعبّر عن كل ما تقدّم قائلاً[2] بعد التمهيد بمطلع غزلي، على الطريقة التقليدية:

واني غداة استعبرت أم مالكٍ
لراضٍ من السلطان أنْ يتهدّدا

---

(١) الشعر والشعراء: ٣٢٠.

(٢) ديوانه: ٧٣.

أبا خالدٍ دافعت عني عظيمةً
وأدركت لحمي قبل أن يتبدّدا
وأطفأت عنّي نار نعمانٍ بعدما
اغذّ لأمرٍ عاجزٍ وتجرّدا[1]
ولما رأى النعمان دوني ابن حرّةٍ
طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا[2]
ولاقى امرءاً لا ينقض القومُ عهدَه
أمرّ القُوى دون الوشاةِ وأحصدا[3]

ثم يتابع الأبيات فينعت يزيد بالصدق ويصفه بالشجاعة، ثم يذكر والده ويمدحه بالوفاء والعفّة والمجد:

وما وجدت فيها قريش لأمرها
أعفّ وأوفى من أبيك وأمجدا

وهو أي يزيد كريم جواد شجاع:

يقلّص بالسيف الطويل نجادُه
خميصٌ إذا السربال عنه تقدّدا[4]
فأقسمتُ لا أنسى مدى الدهر سيبَه
غداةَ الليالي ما أساغ وزوّدا[5]

ويسير على طريقة النابغة الذبياني فقارن ممدوحه يزيد بنهر

---

(١) نعمان: هو النعمان بن بشير الأنصاري الذي اشتكى الشاعر إلى معاوية.
(٢) ابن حرّة: أراد به يزيد بن معاوية. الكشح: البغضاء. عرّد: تنحّى.
(٣) أمرّ وأحصد: فتل الحبل وأحكمه.
(٤) يقلص: يشمر. خميص: هزيل. السربال: القميص. تقدّد: تقطّع.
(٥) السيب: العطاء. أساغ: أعطى وأجزل.

الفرات، وجعله يتفوّق عليه بعطائه، حتى وهو في أوج هيجانه وفيضانه، يقصّر أن يعطي كما يعطي يزيد. قال[1] الأخطل:

وما مزبدٌ يعلو جزائر حامزٍ
يشقّ إليها خيزُراناً وغرقدا[2]
تحرّز منه أهل عانةَ بعدما
كسا سورها الأعلى غثاءٌ منضّدا[3]
يقمِّص بالملاّح حتى يشفّه إلـ
ـحذارُ وإن كان المشيحَ المعوّدا[4]
بمطّرد الأذيّ جَوْنٍ كأنّما
زفا بالقراقير النّعام المطرّدا[5]
كأنَّ بناتِ الماءِ في حَجَراتِه
أباريقُ أهدَتْها ديافُ لصرخدا[6]
بأجود سيباً من يزيد إذا غدت
به بُختُه يحملن مُلْكاً وسؤددا[7]

وقال[8] النابغة في معلّقته يمدح النعمان بن المنذر:

---

(١) ديوانه: ٧٦.

(٢) المزبد: نهر الفرات. حامز: موضع قرب حلب. الخيزران والغرقد: نوعان من الشجر.

(٣) تحرّز: هاب. عانة: قرية على الفرات. الغثاء المنضد: الطمي المتراكم.

(٤) يقمّص بالملاح: يحرّك السفينة. يشفه: يتعبه. المشيح المعود: الحاذق.

(٥) الجون: الأبيض وأراد الزند. زفا: حثّ. القراقير: السفن. واحدها: قرقور.

(٦) دياف وصرخد: موضعان بالشام.

(٧) السيب: العطاء. البخت: الإبل الخراسانية.

(٨) ديوانه: ٣٠.

فما الفرات، إذا جاشت غواربه
ترمي أواذيه العبرين بالزَّبَدِ
يمدّه كل وادٍ مترعٍ، لجب
فيه ركامٌ من الينبوت والخضدِ
يظل، من خوفه، الملاح معتصماً
بالخيزرانة، بعد الأين والنجَدِ
يوماً، بأجود منه سيب نافلةٍ
ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ويتبينّ من خلال المجموعتين، أن الأخطل يحذو حذو النابغة في الشكل والمضمون، بل يبدو التكلُّف والتصنُّع في أبياته واضحاً الأمر الذي لم يلجأ إليه النابغة سابقاً. وإنّه إذ يكثر من استعمال الغريب في شعره، فليس ذلك عن طريق الصدفة، بل كان يتعمّد ذلك بتأثير البداوة، وإثباتاً لقدرته وتصرُّفه في غريب اللغة، وصار هذا منهجاً يسلكه في كل قصائده.

وها هو نفسه يصرّح بانه أمضى عاماً كاملاً، حتى أخرج قصيدته الشهيرة «خفّ القطين»، ولم يبلغ فيها ما أراد، قال ذلك لعبد الملك بن مروان بطريق الإزراء على جرير إذ ينظم المدحة في ثلاثة أيام، وطلب منه عبد الملك أن ينشد القصيدة، فلمّا سمعها قال: «ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين»(١).

وكان الأخطل قد أعدّ هذه القصيدة، عندما علم بأن زعيم قيس

(١) الأغاني: ٨/٢٨٨.

زفر بن الحارث في ضيافة عبد الملك بن مروان، وأنه أدناه وأجلسه على سريره، ممّا أثاره وأغضبه هو وقومه، فدخل دار الخلافة غاضباً وقال لعبد الملك: أتُجلِس هذا معك على السرير وهو القائل[1] بالأمس:

وقد ينبت المرعى على دِمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وعندما سمع عبد الملك ذلك، قبض رجله ثمَّ ضرب بها صدر زُفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني!. فكان زُفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلّا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

افتتح الأخطل قصيدته بذكر رحيل الحبيبة، وعلى طريقة الجاهليين، ثم ينصرف إلى وصف الخمرة، فهو حزين لفراق الأحبّة، وحزنه يشبه حال مَن شرب الخمرة المعتَّقة حتى فقد وعيه، ثم لا يلبث أن يعود إلى وصف الرحلة.

قال[2] في أول القصيدة:

خفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتْهم نوىً في صرفها غِيرُ[3]

(١) الأغاني: ٨/٢٩٦.

(٢) ديوانه: ١٠٠.

(٣) خفّ: أسرع. القطين: السكان. النوى: البُعد. الصرف: التغير. غِير: متاعب.

كأنني شاربٌ، يوم استبدَّ بهم
من قرقفٍ ضمنتها حمص أو جدَرُ[1]

ثم تحدَّث عن شوقه للنساء فقال:

شوقاً إليهم، ووجداً يوم أُتبِعُهم
طرْفي، ومنهمْ بجنبي كوكبٍ زُمَرُ[2]
خَشَوا المطي، فولتنا مناكبها
وفي الخدورِ إذا باغمتَها الصُّوَرُ[3]

بعد ذلك، أي بعد أن يفصِّل في وصف الخمرة وصفاتها والرحلة وأهوالها، وما لاقته الحبيبة وأهلها من المتاعب في السفر، وأثر الفراق على نفسه، يتخلَّص إلى المديح يمدح عبد الملك بصفته إمام المسلمين وخليفتهم:

إلى امرىءٍ لا تعدِّينا نوافلُه
أظفره الله، فليهنا له الظفرُ
الخائضِ الغمر والميمون طائره
خليفةِ الله يُستسقى به المطرُ

وكان ذلك الأسلوب معروفاً ومتبعاً، يسير عليه كل شعراء العصر، في مدائحهم، وقد جمع في هذين البيتين من الصفات ما أمكنه للخليفة، فهو المظفر، الكريم الشجاع المؤيَّد بنصر الله، وهو

---

(١) القرقف: الخمرة تذهب بعقل صاحبها. جَدَر: قرية معروفة بصنع الخمرة.
(٢) كوكب: رابية بالخابور. الزمر: العصابات.
(٣) الخدور: المخابيء. البغام: صوت الظباء. الصور: الدمى.

ملاذ المؤمنين في الشدائد حتى إنهم يتوسَّلون به إلى الله تعالى، ليغيثهم.

ثم يعبِّر عن صفة الكرم نفسها، بطريقة قديمة، جدَّدها الأخطل، وكان سبقه إليها النابغة كما أشرنا[1]، قال الأخطل:

وما الفرات إذا جاشت حوالبه
في حافَّتيه وفي أوساطه العُشَرُ[2]
وذعذعته رياح الصيف واضطربت
فوق الجآجيء من آذيِّه غُدُرُ[3]
مسحنفرٌ من جبال الروم يستره
منها أكافيف فيها دونَه زَوَرُ[4]
يوماً بأجود منه، حين تسأله
ولا بأجهر منه، حين يُجتهرُ

إنه، ومن خلال هذه الصورة، يستعير من الجاهليين، ويقلِّدهم فيأخذ صورهم ويحوِّرها، أو يجدِّدها أو يقلبها، ليخرج بغيرها مما يتناسب مع جوِّ قصيدته، وينطبق على واقع الحال، فالنابغة شبَّه النعمان، بجوده، بنهر الفرات حين يعلو ويفيض فيجرف ما يقع حواليه من نبات وأشجار. وفي المقابل نرى الأخطل لم يكتف في

---

(١) راجع ص ٤٢ من هذا الكتاب.
(٢) جاشت: فاضت. العشر: شجر صلب وقاس.
(٣) الجآجيء: واحدها الجؤجؤ: الصدر. الأذي: الموج. غُدُر: واحدها غدير: جدول الماء.
(٤) مسحنفر: سريع في مشيه. أكافيف: واحدها أكفاف: جانب الجبل. زَوَر: مَيْل.

المقارنة بين ممدوحه عبد الملك ونهر الفرات بالجود فقط، لكنه شبَّهه به من حيث القـوّة والجهارة، وهنـا يكمن التجـديـد في شعـر الأخـطل، وبذلك يتميَّز على النابغة.

وإذا تـوغَّلنا في القصيـدة، نراه ينتقـل إلى التحـدُّث عن ممـدوحـه كقـائد عـسكـري، ويتجلّى حسن قيـادته في الجيش الـذي وجَّهـه إلى العـراق، ليحارب مصعب بن الـزبير، فهـو يحارب ويبني القنـاطر ثم يهدمها بطريقة سريعة وخاطفة، تدلّ عـلى نظر ثـاقب، ومهارة ودربـة في فنـون القتال وأسـاليبه، فـلا يكفي أن يحشد مـائتي ألف مقـاتـل، فالمطلوب كثرة العدد مضافة إلى النوعية والعلم والأخذ بالأسباب:

مـقـدُمـاً مـائـتي ألـفٍ لـمـنـزلـه
مـا إنْ رأى مـثـلَهـم جـنٌّ ولا بشَرُ

يـغشى الـقـنـاطـر يـبـنـيـهـا ويـهـدمـهـا
مـسـوَّم، فـوقـه الـرايـات والـقـتَرُ

ويذكُر الخصوم الزبـيريين وغـيرهم، بالملاحم والمواقـع التي تشهد لممدوحه بالبطولة ومضاء العـزم كيوم الـطفّ حيث مقتل الحسـين بن علي على يد جند يزيد، ففي هـذا عبرة لأهـل العراق كي يستقيمـوا، ويسجّل بنو أميّة نصراً آخر فيستبدون بأمور العـراق بعد القضـاء على خصومهم، وحسبنا ما يثيره مثل ذلك التذكير في النفوس!

لا يكتفي الشاعر بذكر فضائل الخليفة، بل يمـدح قومـه من البيت الأمـوي: فهو بيت عـريق في العـزّ والمجـد، وهـو من أصفى فـروع قريش، وفيهم من المكارم والصفات ما يؤهِّلهم ليكونوا سادة وملوكاً:

أعـطاهـم الله جـدّاً يُـنصرون بـه
لا جـد إلاّ صـغـير بـعـد محـتـقـرُ

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً، إذا قدروا

وهكذا، فقد جمع الأخطل لبني أميّة، طيب الأصل إلى المكارم إلى تأييد الله تعالى لهم باختيارهم ليكونوا خلفاءه على الأرض، ولماذا لا يسودون وفيهم أنفة وحلم وصبر على الشدائد، ومروءة وجود وسداد في الرأي وتواضع؟!

والأخطل، لم يكن شاعر البيت الأموي فحسب، بل كان ممثل تغلب ومن وراءها في البلاط الأموي، لذلك كان يستغل كل مناسبة لينوّه بدور قومه، ويذكّر بخدماتهم الجليلة نحو الدولة الأموية قال يذكّرهم بدفاعه عنهم ضد الأنصار:

بني أميّة قد ناضلتُ دونكم
أبناء قومٍ، هم آووا وهم نصروا

وكان يمهّد بذلك لأمر أعدّ له وهو الطلب من عبد الملك أن يطرد زفر بن الحارث فقال:

بني أمية إنّي ناصحٌ لكم
فلا يبيتن فيكم آمناً زُفَرُ

ويعدّد مآثر تغلب، ويفصّل في ذلك تفصيلاً، خصوصاً في الحروب التي خاضتها دفاعاً عن الحكم الأموي:

وقد نُصرتَ أمير المؤمنين بنا
لّما أتاك ببطن الغوطةِ الخبرُ

أمّا الجزء الأخير من القصيدة فيدور على تنقص الأعداء، وقد هجاهم هجاءً مُقذعاً وأضاف إليهم كل المعايب التي كانت تعيّر بها العرب. فقال شامتاً ومحقّراً قيس عَيلان:

وقيسُ عيلان، حتى أقبلوا رقصاً
فبايعوك جهاراً بعدما كفروا
قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مخزيةٍ
وكلُّ فاحشةٍ سبَّت بها مُضَرُ
وأقسم المجد حقّاً لا يحالفهم
حتى يحالف بطن الراحة الشَعرُ

يتضح من خلال ما تقدَّم أن قصيدة المدح، عند الأخطل وخصوصاً مدائحه في عبد الملك، كانت تسير وفق النظام الذي سارت عليه هذه القصيدة، فهي متعدّدة الأغراض، كالقصيدة الجاهلية، أولها ذكر للأحبَّة ثم وصف للخمرة ويليه مدح ثم فخر وهجاء للأعداء. وهكذا، فإن الأخطل لم يكن ناطقاً باسم الأمويين فحسب، بل هو سفير قبيلته تغلب لدى البلاط الأموي، وهو إذ يمدح الخليفة يفاخر بقبيلته، مما أعطاه دوراً مميَّزاً، فصار في منزلة فوق منازل الشعراء، فهو يمثِّل الصديق والنديم بالنسبة إلى عبد الملك، ولربما المستشار السياسي، ويتجلَّى ذلك بإذعان الخليفة لرغبة الأخطل وطرد زفر بن الحارث من مجلسه.

أخيراً، لسنا ندّعي أن الأخطل نجح تماماً في تجديد القصيدة المدحية، ولكنه قد فعل، فجاءت قصائده مزيجاً بين القديم الجاهلي وبين ما أفرزته المعطيات الجديدة في البيئة الإسلامية، والتي تمثّلت بوجود دولة وسلطة مركزية، وخليفة قوي، ومظاهر ثراء وحضارة وما إلى ذلك من عناصر ساهمت في تطوير المدحة عموماً، والأخطل بشاعريته الفذّة، استطاع أن يستغل كل ما تقدم ليخرج قصائده إخراجاً جديداً، ولو أنه اتكأ على الصور القديمة في كثير من الأحيان، ولكن يبقى أثر البيئة الإسلامية واضحاً مع كون الشاعر نصرانياً،

فصورة الخليفة والعدالة، والحق الشرعي، ومبدأ التسليم والإذعان للخليفة، والتوفيق الإلهي وما رافق كل ذلك من اصطلاحات وألفاظ، لمن مظاهر التجديد عند الأخطل، كتكرار لفظة الجلالة، وأمير المؤمنين وقوله خليفة الله . . .

واستطاع الأخطل أن يجدّد القديم نفسه، ويزيد عليه: إذ كان يعلم أن ممدوحيه يطربون ويعجبهم أن يمدحوا بالطرق التقليدية، فلجأ إلى القديم واغترف ما أمكنه من صور وأدوات خصوصاً ما يتعلّق بالفضائل والمكارم، كالشجاعة والبطولة والتشبيه بالبحر والغيث وما إلى ذلك، والأمر المميَّز هنا أنه نجح في توليد صور وأفكار جديدة وطريفة من القديم كما في صورة الفرات، وشخصية الممدوح تختلف عن الممدوحين في الجاهلية، ففيها من البريق ما يكفي ليستوحي الشاعر من جوانبها المتعدِّدة، فهو خليفة وقائد عسكري، وإنسان ذو سيرة حميدة، وسليل أسرة كريمة . . .

وإذا كانت مدائحه في يزيد بن معاوية وفي عبد الملك تتميَّز بحرارة الانفعال والقوّة والاندفاع، وجزالة الألفاظ وفخامتها، فإننا نمضي قُدماً لنكتشف أن فتوراً يعتري هذه العاطفة أيام الوليد بن عبد الملك، الذي أدنى إليه شاعراً مسلماً هو عدي بن الرقاع العاملي وجعله شاعره الرسمي، الأمر الذي حزّ في نفس الشاعر وأحزنه، فبدا ذلك في مدائحه، قال[1] يمدحه بعد أن مهّد بذكر الأحبّة:

لولا الوليدُ، وأسبابٌ تناوَلَني
بهِنَّ، يومَ اجتماع الناس بالثَّلَمِ[2]

(١) ديوانه: ٣١٥.

(٢) الثلَم: موضع بالشام.

إذاً لكنتُ كمن أودى ووَدَّاه
أهل القرابةِ بين اللحد والرُّجَمِ[1]

فهو ينوِّه بحماية الوليد له وتعهّده، ثم يذكر جوده في توزيع المال دون ضجر أو تأفّف:

ما يحرِمُ السائل الدنيا، إذا عرضتْ
وما تعوّد منه المالُ بالقَسَمِ
لا يستقل رجالٌ ما تحمّله
ولا قريبون من أخلاقِه العُظُمِ

ولا يقلّ بنو أميّة، على العموم، عن الوليد، فهم بنظر الشاعر خير الناس وأشدهم عند البلاء، وأكرمهم عطاءً:

فهم هنالك خير الناس، كلهم
عند البلاء، وأحماهم على الكرَم

ولا يفوته أن يتحدَّث عن أحقيّتهم بالخلافة، ويبدي سعادته في ذلك:

فإذا أتتكم وأعطتكم بدرّتها
فاحتلبوها هنيئاً، يا بني الحكمِ

ويصل إلى نهاية الأبيات دون أن يفتخر بمآثر قبيلته، كما عوّدنا سابقاً في مدائحه الطنّانة في عبد الملك، بل على العكس، تظهر نفسيته المنكسرة المحطّمة، فهو خائف مترقّب، وقد أظهر ذلك في عدة مواقع من هذه القصيدة، وهو إذ يؤكّد إخلاصه وصدق طويته،

(١) ودأه: دفنه. الرُّجَم: كومة الحجارة، وأراد القبر.

يطلب إليهم أن يشملوه بالرعاية، ولا يأخذوا بالوشايات التي تستهدف إقصاءه:

لولا بلاؤكم في غير واحدةٍ
إذاً لقمتُ مقامَ الخائفِ الزّرِمِ
وقد علمتُم وإن أصبحتُ نائيَكم
نصحي، قديماً، وفِعلي غيرُ متّهمِ
لقد خشيتُ وشاةَ الناس عندكمُ
ولا صحيح على الأعداء والكلمِ

ولم يكثِر الأخطل من مدح الوليد، لأنه لم يعش طويلاً، ولا نقع في ديوانه إلاّ على خمس قصائد في مدحه، تتشابه من حيث ضعف العاطفة وسيطرة النغم الحزين عليها، وافتقارها إلى الحيوية والانفعال.

كذلك الأمر، في مدائحه للولاة، فإنها تختلف عن تلك التي قيلت في الخلفاء، وهذا أمر طبيعي، لاختلاف الدوافع والمؤثرات. وها هو يمدح الحجاج بن يوسف، فيستهلّ بمطلع غزلي ينتقل بعده إلى المدح فيتغنى ببطش الحجّاج بالأزارقة[1]:

فعليك بالحجّاج لا تعدِل به ... أحداً إذا نزلت عليك أمورُ
ولقد علمتُ بلاءه في معشرٍ ... تغلي شناه صدورهم وثغورُ[2]
طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت ... بشبيب غائلةِ النفوسِ غدورُ

وفي مدحه لبشر بن مروان، يسيطر الجفاف على الأبيات، فيفتتح

(١) ديوانه: ١١٨
(٢) شناه: بغضاؤه.

إحدى مدائحه بالغزل ثم يشكو ويكشف ما يعتريه من غمّ وقد خذله بنو شيبان، فيتوجّه إلى بني أمية الذين ألبسوه ثوب الكرامة وأفاضوا عليه من النعم، على يد أبي مروان بشر، قال[1]:

وإن بني أمية ألبسوني ظلال كرامة، ما إن تزولُ
تولّاها أبو مروان بشرٌ لفضل، ما يُمَنُّ وما يحولُ

ويتحوّل إلى وصف الأعداء وفلولهم منهزمين، وينتهي إلى تصوير ما اعتراه من الشدّة لو تعرّض له الفيل لما احتمل:

وضنكٍ لو يقوم الفيل فيه لأرعدتِ الفرائص والخصيلُ
حبستُ به على المكروه نفسي وليس يقومه إلّا قليلُ

وخلاصة القول إن الأخطل قد عاش عصره الذهبي أيام عبد الملك بن مروان، فمنحه أروع قصائده وأفخمها، وحظي برضى الخليفة، وحمايته، لذلك كان لا يتردّد في أن يمدحه في كل مناسبة ويكرّر حق الأمويين في الحكم دون سواهم:

وقد جعل الله الخلافة فيكم
بأبيض لا عاري الخِوانِ ولا جدبِ
ولكن رآه الله موضعَ حقّها
على رغم أعداءٍ وصدّادةٍ كُذْبِ[2]

كما حرص على بيان تهافت الأعداء، وتقصيرهم عن المطالبة بالسلطة، فهم أقل من أن يحكموا، لذلك هجا الزبيريين والخوارج وعرّض بكل من تسوّل له نفسه أن يطمع في الملك. ولكن أشد

---

(١) ديوانه: ٢٩٣.
(٢) ديوانه: ٢٧. كُذْب: جمع كذوب.

حملاته كانت ضد القيسيين وسنأتي إلى ذلك مفصَّلاً.

إذاً تتضمَّن مدائح الأخطل دعوة سياسية إلى تأييد الأمويين والالتفاف من حولهم، كما تتضمَّن المعاني التي ترضي الممدوحين ويرون لها علاقة بتحقيق أهدافهم السياسية: حشد على الحق، عيافو الخنا.. كان لهم مخرج، أعطاهم الله جداً، شمس العداوة...

وقيل لأبي العباس السفَّاح، بعد قضائه على الأمويين إن شاعراً قد مدحك أفتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعد قول ابن النصرانية في بني أميّة:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فالشاعر جمع في البيت معنيين عظيمين: البطش، والقوة مضافة إلى العقل والرزانة. كما نجح في إثبات ما لنفسه ولقبيلته من الحق على الأمويين لما بذلوه في سبيلهم من التضحيات، وهو نفسه لطالما تعرّض للمخاطر! لذلك فإن الإخلاص والود في تغلب لا في سواها على رأيه، وفي هذين التوجُّهين من الذكاء السياسي عند الأخطل ما لم يكن عند غيره، فليس غريباً أن يُقال بأنه أقدر شعراء عصره على النضال السياسي.

أما من حيث الأساليب والصور، فإن قصائده امتازت برصانة الألفاظ وجزالتها، وقوّة الأسلوب والقدرة على التوليد والتسلسل المنطقي في أفكاره، إضافة إلى ميله الفطري في استخدام الصور البدوية (الميمون طائره، يستسقى به المطر، شمس العداوة)، مع بعض نفحات تدلّ على حياة التحضر التي عايشها.

الهجاء:

عُرف الهجاء قديماً، وكان يحتدم مع احتدام الصراعات القبلية، حتى قيل إن بيتاً من الشعر، في الجاهلية، كان يخفض قوماً ويرفع آخرين، وكثيراً ما كانت تثور المعارك بسبب بيت أو قصيدة. وفي صدر الإسلام، خفت صوت الهجاء القبلي المقذع، لتعارضه مع الدين، ولكن بعض شعراء قريش ظلّوا على ما كانوا عليه من إقذاع فهجوا المسلمين ممّا أدّى إلى الردّ عليهم بما يسكتهم وحسبنا حسّان بن ثابت شاعر النبي ﷺ.

وفي العصر الأموي، حيث الصراعات الحزبية السياسية والفئوية، والعصبيات القبلية تأجّجت نيرانها واستعرت، واستيقظت الضغائن والأحقاد، ورافق كل ذلك سفك للدماء وحروب طاحنة، شارك فيها الشعراء مشاركة فاعلة، لم تهدأ ولم تسكن إلاّ مع بداية العصر العبّاسي حيث اتخذ الهجاء منحىً آخر.

اتخذ الأخطل موقعه في ما كان يدور من حوله، فشارك في المعارك اللسانية، وكان مستعداً في كل موقف، وكثيراً ما كان يمدح ويفخر ثم يهجو في القصيدة الواحدة على نحو ما رأيناه في قصيدته الدرّة «خفّ القطين». ونذكّر هنا بالمساعي التي بذلها عبد الملك في تهدئة ما بين قيس وتغلب، وفي سنة ٧٣ هـ يستقدم إلى دمشق زعماء القبيلتين لإتمام الصلح، فيدخل الأخطل وعنده الجحّاف السلمي فينشد[1]:

ألا سائل الجحّافَ هل هو ثائرٌ
بقتلى أصيبتْ من سُليم وعامرِ

---

(١) ديوانه: ١٣٠.

أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي
عليك بحورٌ طاميات الزواخرِ

فغضب الجحّاف، وتوجّه إلى قومه في الجزيرة، وجمع فرسانهم وأغاروا على بني تغلب فأصابوا منهم مقتلة عظيمة، وبقروا بطون الحوامل، وقتلوا غير الحوامل من النساء في معركة عرفت باسم «البشر» نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه. وفي هذه الوقعة قتل أحد أبناء الأخطل وأُسر هو نفسه، ولكنه ضلّل من أسره وفرّ منه على أنه عبد، كذلك هرب الجحّاف إلى بلاد الروم، حتى هدأ غضب عبد الملك فأمنه وعاد ليؤدّي الحمالات عمّا سُفك من الدماء، ولكن الأخطل لم تهدأ نفسه، فما زال يتألّم، ويهدّد بني أميّة بالانصراف عنهم إن لم يأخذوا بثأره فيقول(١):

لقد أوقع الجحّافُ بالبشر وقعةً
إلى الله منها المشتكى والمعوّلُ
فسائلْ بني مروانَ ما بالُ ذمةٍ
وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يوصّلُ
فإلّا تغيّرها قريشٌ بمُلكها
يكنْ عن قريش مُستَرادٌ ومزحلُ

فقال عبد الملك: إلى أين يا ابن اللخناء(٢)؟ قال: إلى النار يا أمير المؤمنين. قال: أما والله لو غيرها قلت لضربتُ عنقك.

وممّا كان يقدّم فيه الهجاء، ولكنه حافظ على شيء من العفّة على

(١) الشعر والشعراء: ٣٢١. وفيه مستهاز ومزحلٌ أي انفصال ورحيل.
(٢) اللخناء: الفاسدة.

حدُّ قوله هو نفسه: «ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها»(١). وقال جرير رداً على سؤال: «وأما الأخطل فأشدنا اجتراءً وأرمانا للفرائص»(٢). ومن أوائل شعره قوله(٣) رداً على كعب بن جعيل عندما سمّاه الأخطل:

سُمِّيت كعباً بشر العظامِ   وكان أبوك يُسمّى الجعَلْ
وإنَّ محلُّك من وائلٍ   محلّ القُراد من أست الجمل

ومن الجدير بالذكر أن كعباً هذا كان شاعر تغلب ويُحسب له ألف حساب بين الشعراء، فلجّ الهجاء بينهما منذ ذلك الوقت، ومما قاله في امّ كعب:

هجا الناس ليلى امّ كعبٍ فمزّقت
فلم يبقَ إلاّ نفنفٌ أنا رافعُهْ(٤)

وممّن هجاهم الأخطل جارية من قومه، فقال لأبيها: يا أبا الدلماء، إن ابنتك تعرّضت لي فاكفُفها. فقال له: هي امرأة مالكة لأمرها. فقال(٥) الأخطل:

الا أبلغ أبا الدلماء عنّي   بأنّ سنانَ شاعركم قصيرُ
فإن يَطعُن فليس بذي غناءٍ   وإن يُطعَن فمطعنه يسيرُ
متى ما ألقه ومعي سلاحي   يخرّ على قفاه فلا يحيرُ

---

(١) الأغاني: ٨/٣٠٠.
(٢) الأغاني: ٨/٢٨٥.
(٣) الأغاني: ٨/٢٨١.
(٤) الأغاني: ٨/٢٨٢. والنفنف: الهواء، وأراد الشيء القليل.
(٥) الأغاني: ٨/٣٠٤.

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه، فقال: أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد. وواضح ما أضمر في الأبيات وخبًا، إلاّ أنه طبّق ما قاله حول العفّة، فلم يذكر العورات.

ومرَّ ذات يوم ببني رؤاس في الكوفة ومؤذّنهم ينادي بالصلاة، فقال له بعض فتيانهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلّي؟ فقال[1]:

أصلّي حيث تدركني صلاتي وليس البرّ عند بني رؤاسِ

فهو لم يمتنع عن الصلاة فحسب، لكنه هجا القوم بنفي البرّ والخير عن حيهم جميعاً.

ومن هجائه الذي جاء على صورة المدح قوله[2]:

نِعم المجيرُ سِماكٌ من بني أسدٍ
بالقاع إذ قتلتْ جيرانها مُضرُ
قد كنت أحسبه قيناً وأخبره
فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشررُ

فقال له سِماك: يا أخطل، أردت مدحي فهجوتني! والظاهر أنه لم يتعمّد هجاءه، ولكنه سقط، وليس غريباً أن يسقط فلكل جواد كبوة!

وإذ كان في خلوة له، كره أن يثقل عليه أحد، فقال[3] يهجو ثقيلاً طرأ عليه وشرب شرابِه:

---

(١) الأغاني: ٣١٣/٨. وبنو رؤاس حي من بني عامر من صعصعة وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة.
(٢) الأغاني: ٣١٢/٨.
(٣) الأغاني: ٣١٣/٨.

وليس القذى بالعود يسقط في الإنا
ولا بذباب خطبُه أيسر الأمرِ
ولكن شخصاً لا نُسرُّ بقربِه
رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

ولكن أهم أهاجيه هي تلك التي قالها في إطار ما سمّوه بالنقائض، وشعراء النقائض في العصر الأموي هم جرير والفرزدق والأخطل، وقد تهاجى الثلاثة، وبعنف، بسبب الحياة العصبية التي عاشها العراق؛ ثم إنهم اعتبروا ذلك ضرباً من ضروب التسلية لملء الفراغ، فكان ينصب للفرزدق وجرير كرسيان فيجلس كل منهما وحوله مناصروه في سوق المربد، فيهجو كل منهما الآخر ويفخر بقبيلته ويعرّض بالقبائل الأخرى، وتسير هذه القصائد عادة، على الروي نفسه والوزن ذاته. ومن الطريف أن هؤلاء الشعراء الثلاثة قد تهاجوا طيلة حياتهم وخصوصاً جوير والفرزدق، ولم يكونا عدوين، بل كانا صديقين.

وكان لجّ الهجاء بين الشعراء الثلاثة عندما اجتمعوا ذات يوم لدى بشر بن مروان الذي سأل الأخطل أن يحكم بين الفرزدق وجرير أيُّهما أشعر؟ فتردَّد ثمّ قال(١): «الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر». فلم يرض جرير بذلك وقال يهجو الأخطل:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى
ألّا تجوز حكومةُ النشوانِ
فدعوا الحكومة لستم من أهلها
إن الحكومة من بني شيبانِ

(١) الأغاني: ٣١٥/٨.

قــتــلوا كــلـيـبـكــم بـلـقـحــة جــارهــم
يـــا خُــرز تــغــلـبَ لــســتــم بــهــجــانِ[1]

فقال الأخطل يردّ عليه:

ولقــد تنـاسبتم إلى أحســابكم وجعلتـم حَكَـمـاً مـن السلطانِ
فـإذا كليبٌ لا تسـاوي دارمـاً حتى يُســاوى حَـزرمُ بــأبـانِ[2]
وإذا جعلتَ أبــاك في ميـزانهم رجحـوا وشـال أبـوك في الميـزانِ
وإذا وردتَ المــاء كـان لــدارمٍ عِفــواتُـه وسـهـولـةُ الأعــطانِ

ومن مناقضاتهما قول[3] جرير:

إذا أخــذت قــيس عــلـيـك وخِــنـدفٌ
بــأقــطارهــا لم تــدرِ مــن أيــن تــســرحُ

فقال الأخطل: لا أين! سدّ والله عليّ الدنيا.

فلمّا أنشد قوله:

فـما لك في نجـدٍ حصـاةٌ تعـدها وما لك من غَوْري تهامـة أبطحُ

وفُتح القول للأخطل فأنشد:

ولــكــن لــنــا بَــرُّ الــعـراقِ وبــحـره
وحـيـث تــرى الـقُــرقُــورَ في المــاء يـســبـحُ[4]

---

(١) إشارة إلى مقتل كليب على يد جسّاس بن مرّة.
(٢) كليب: عشيرة جرير. ودارم عشيرة الفرزدق. حَزرم وأبان: جبلان.
(٣) الأغاني: ٨/٣١٦.
(٤) الأغاني: ٨/٣١٦. والقُرقور: السفينة.

ومن أشنع الهجاء قوله[1] في جرير وقومه:

قـومٌ إذا اسـتـنـبَـح الأضـيـافُ كـلبَـهـم
قـالـوا لأمِّـهـم: بـولي عـلى الـنـارِ
فـتـمـسـك الـبـولَ بُـخـلاً أن تجـودَ بـه
ومـا تـبـول لهـم إلاّ بمـقـدارِ
لا يـثـأرون بـقـتـلاهـم، إذا قُـتـلوا
ولا يـكُـرُّون، يـومـاً، عـنـد إجـحـارِ
فـاقـعـد، جـريـر، فقـد لاقيـت مـطّلعـاً
صـعـبـاً، ولاقـاك بـحـرٌ مُـفـعـمٌ جـارِ

قد اتهمهم بالبخل الشديد، فهم لا يستقبلون الضيف، ولا يجودون بالماء يطفئون به النار فيستعينون بأمّهم لتقوم بذلك بطريقة مزرية، وفي ذلك من الشناعة أعظم مما في البخل نفسه، أي ارتضاؤهم لأمّهم أن تكشف عورتها. وفي الصورة الثانية يتّهمهم بالجبن، وفي البيت الأخير ينصح جريراً بأن يكفّ عن التعرُّض له لأنه كالبحر يجرفه.

ومن أهم نقائضه مع جرير، ما ورد في قصيدة «خفّ القطين» من هجاء لقيس وكلب وكليب بن يربوع عشيرة جرير فقال[2]:

أمّـا كـلـيـبُ بـن يـربـوع فـلـيس لهـم
عـنـد الـتـفـارط إيـرادٌ ولا صَـدَرُ
قـوم أنـابـت إلـيـهـم كـل مخـزيـةٍ
وكـل فـاحـشـةٍ سـبّـت بهـا مضرُ

(١) ديوانه: ١٦٦.
(٢) ديوانه: ١٠٩.

بئس الصُّحاة وبئس الشَّربُ شَربُهم
إذا جرى فيهم المزّاء والسُّكُرُ(١)
الآكلون خبيث الزاد، وحدَهم
والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ

إذاً، يصوّر الأخطل قوم جرير في أقبح صورة من الجبن والقذارة والجهل، بل هم، على حدّ قوله جمعوا الخزي كلّه فصاروا عاراً. وسرعان ما يردّ عليه جرير مسلّطاً سِهامه على عيوب تغلب وهزائمها، مفاخراً بانتصارات قبيلته في الجاهلية، قال(٢):

خابت بنو تغلب إذ ضلّ فارطُهم
حوض المكارم إن المجد مبتَدَرُ
الظاعنون على العمياء إن ظعنوا
والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ
الآكلون خبيث الزاد، وحدهم
والنازلون إذا واراهم الخمرُ
حتى سمعتُ بخنزيرٍ ضغا جَزَعاً
منهم فقلت أرى الأموات قد نُشروا

ومن الواضح، أنه ردّ على ما جاء في قصيدة الأخطل معنىً معنى، وزاد بأن سمّاه خنزيراً، استخفافاً به وتحقيراً لنصرانيته. ومن نقاط ضعف الأخطل في الهجاء نصرانيته، التي وجد فيها خصومه، وخصوصاً جرير والفرزدق، مطعناً عليه، فكان إذا سمع منهما ما

(١) المُزّاء: الخمرة الكريهة.
(٢) ديوان جرير: ١٩٦.

يتعلّق بكفره سكت ولم يحر جواباً ولذلك قال[1] جرير ردّاً على سائله: لقد أعنتُ عليه بكفرٍ وكبر سنٍّ، وما رأيته إلّا خشيت أن يبتلعني.

وكان الأخطل يدرك تلك الحقيقة، ويعترف لتفوُّق جرير عليه في الهجاء، وكان يظنُّ أنه أقدر منه في تصوير المعايب، وإذا بجرير يغلبه في قوله[2]:

والتغلبي إذا تُنُبِّح للقِرى حكّ استَه وتمثّل الأمثالا

ومن طريف ما هجا جريراً به قوله:

أوصي الفرزدق عند المات بأمِّ جرير وأعيارِها[3]

فيردّ عليه جرير قائلاً:

زار القبور أبو مالكٍ، فكان كألأم زوّارِها[4]
تنوح بناتُ أبي مالكٍ، ببوقِ النصارى ومِزمارها
لقد سرّني وقع خيل الهذيل وترغيمُ تغلب في دارها

ولقد بلغ من سلاطة لسانه، وجرأته أنه تهاجى مع جرير في مجلس عبد الملك بن مروان، إذ قال[5] له جرير: «أين تركت خنازير أمّك»؟! قال الأخطل: «راعية مع أعيار أمّك، وإن أتيتنا قريناك منها»! فأقبل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إن رائحة الخمر لتفوح منه، فصدّقه وقال معتذراً هاجياً:

---

(١) الأغاني: ٢٩٩/٨.

(٢) الأغاني: ٣١٨/٨. وقال عن هذا البيت: «لم تبق سُقاة ولا أمثالها إلّا رووه».

(٣) أعيار: جمع عير: حمار. الأغاني: ٣٠٥/٨.

(٤) أبو مالك: كنية الأخطل. انظر ديوان جرير: ٢٣٥.

(٥) الخبر بتمامه في الأغاني: ٣٠٧/٨. وكذلك قصة أبي سُواج المذكور في الشعر.

تـعـيـب الخـمـر وهـي شرابُ كسرى
ويشرب قـومُـك الـعـجَـبَ الـعـجـيـبـا

مَـنِيُّ الـعـبـدِ عـبـدِ أبي سُـواجٍ
أحـقّ مـن الـمـدامـةِ أن تـعـيـبـا

وكعادته، يقـدِّم لنا نقيضـة أخرى، بعـد أن يمدح بشر بن مـروان وعلى الطريقة التقليدية من حيث الافتتاح بالغزل ثم التدرُّج إلى المدح بالصفات التي يحبها الممدوح، ينتقل بعد ذلـك إلى التفاخـر والهجاء. يقول[1]:

لـقـد عـجـمـوا مـنِّي قـنـاةً صـلـيـبـةً
إذا ضـجَّ خـوّارُ الـقـنـاة سَـؤومُـهـا

وإنِّي لـقـوّامٌ مَـقـاومَ، لم يـكـن
جـريـرٌ، ولا مـولى جـريـرٍ يـقـومُـهـا

أيـشـتـمـني ابـنُ الـكـلـبِ أن فـاض دارمٌ
عـلـيـه ورامـى صـخـرةً مـا يـرومُـهـا[2]

يـغـنِّي ابـن يـربـوع بـشـتـمـي أمُّـه
ومـا انـفـلـتـت مني صـحـيـحـاً أديمُـهـا[3]

ويتابع بأبيات فيها من القذارة ما يمنعني من إيرادها ههنا، فيسمِّي والدة جرير المراغة ويتهمها بالفاحشة ويشبِّهها بالناقة...

ولم يقتصر هجاؤه على جرير أو الفرزدق لكنه هجا آخرين فقـال[4]

---

(١) ديوانه: ٣٢١.

(٢) دارم: قوم الفرزدق.

(٣) ابن يربوع: جرير. وقصد أنه شتم والدته فلم يبق لها على ستر.

(٤) ديوانه: ٣١٠.

يهجو رجلاً من بني كلب اسمه جُميع:

وانظر جُميعُ إذا قناتُك هُزهزتْ
هل في قناتِك قادحٌ ووُصومُ
أبني قُريبةَ إنَّه يُخزيكم
نسبٌ إذا عُدَّ القديمُ لئيمُ
من والدٍ دَنِسٍ وخالٍ ناقصٍ
وحديثُ سوءٍ فيكم وقديمُ

ولا نكاد نقع على جديد في المعاني التي يسوقها في الهجاء، سواء ضد جرير وقومه أم في غيرهم. فهو يبحث عن المطاعن في النسب وفي الأصل الدنيء وفق معايير الجاهلية، وفي النقص الأخلاقي والافتقار إلى الشهامة والمروءة في القول والفعل، فضلاً عن معنى الجبن والبخل، حتى إنه كان يرى في الفقر ما ينفذ من خلاله ضد مهجوه. قال[1] في بني كليب:

كل المكارم قد بلغتْ، وأنتم
زَمَعُ الكلاب مُعانقو الأطفالِ
وكأنَّما نَسِيَتْ كليبٌ عِيرَها
بين الصريح وبين ذي العُقّالِ[2]
وإذا أتيتَ بني كليب، لم تجد
عدداً يُهابُ ولا كثيرَ نوالِ

قد أضاف عيباً جديداً يطعن به على أعدائه وهو رعيهم للحمير

(١) ديوانه: ٢٦٠.

(٢) الصريح: ماء لبني نهشل. ذو العقال: موضع بني رباح بن يربوع.

وقلّة عددهم! ومن الصور الطريفة في التعبير عن خسّتهم وبخلهم قوله[1]:

سودُ الوجوه، وراء القوم مجلسهم
كأنّ قائلهم في الناس مسترقُ
البائتون قريباً، دون أهلِهم
ولو يشاؤون آبوا الحي أو طرقوا

وهم من شرار الناس على زعمه، ومن أقلهم شأناً، وهم لا يبيتون في منازلهم، بل يبتعدون عنها خشية استقبال الضيوف. وقال[2] يهجو بني زيد اللات:

فأنتم أكلتم جارَكم في بيوتكم
كما قد أكلتم قبل ذاك المقنّعا[3]

وقال[4] يهجو سويد بن منجوف السدوسي وقومه:

فإن نعفُ عن حُمران بكر بن وائل
فما إنْ لنا سودانُهم بصديقِ

فهو يتّهمهم بالغدر والخيانة إثر طلبه من سويد لأمر لم يقضه.

الفخر:

من الفنون التي عُرفت قديماً كالمديح والهجاء، وكان الشاعر آنئذٍ

(١) ديوانه: ٢١٨.
(٢) ديوانه: ٢٠٥.
(٣) المقنع: هو المقنع الكندي شاعر أموي، أنفق ماله وكثر دينه، فعيّره أبناء عمه بفقره ولم يصاهروه.
(٤) ديوانه: ٢١٦.

يفخر بنفسه بفضائله ومكارمه من شجاعة وكرم، كذلك يتغنّى بأمجاد قبيلته ويذكر مروءاتها مع مقدارٍ من المبالغة، كما في فخر عمرو بن كلثوم في معلّقته.

ولا يأتي عصر النبوّة، إلّا ويتحوّل ذلك الفخر، إلى فخر جماعي بمآثر الإسلام والمسلمين، وإنجازاتهم وما حقّقوه من انتصارات على الكفر في شتّى الأنحاء، ويختفي منه كل أثر للفردية أو العصبية العمياء، ولكنه سرعان ما يرجع سيرته الأولى في العصر الأموي للأسباب ذاتها، التي ساهمت في تأجيج الهجاء، وفي الواقع قد تداخلت هذه الفنون الثلاثة ولأسبابٍ سياسية وعصبية وحزبية ومذهبية، وعنيت المدح والفخر والهجاء، فبتنافر الفئات المختلفة ظهر شعراء يؤيّدون فيمدح أنصاره وجماعته ويفاخر بأعمالهم وفي الوقت ذاته يهجو أعداءهم، وأكثر ما يلاحظ ذلك في قصائد الأخطل، وأشرنا إليه في قصيدة «خفّ القطين»، حيث افتخر بنفسه وبقبيلته تغلب.

ويقوم الفخر أساساً على مبدأ التفوّق، لذلك كان يلجأ الشعراء إلى المبالغة أحياناً من أجل إشباع مركبات العظمة في نفوسهم، وإرواء ما فيها من تعطّش للنيل من خصومهم ولو بالكلمة فقط دون السيف، ولا ريب بأن ذلك يشتدّ عندما يبتعد الناس عن جادّة الصواب، ويشتغلون في أمور الدنيا دون الآخرة، فما هي الفائدة من التعالي والتفاخر، غير إذكاء نار الحقد والكراهية، في نفوس الأطراف المفاخرين!؟ فالمردود السيّء واحد في حالتي الهجاء والفخر، باعتبار أن الدافع إليهما هو نفسه الصراع على إثبات الوجود، فبعد أن ساوى الإسلام بين أبناء الملّة، ولا فضل لأحدهم على الآخر إلّا بالتقوى، وبما يقدّم من الأعمال الصالحة، جاء أقوام من الشعراء فاصطنعوا

الفضائل لمن لا يستحق وفاخروا بأمجاد لم تتحقّق، وإن صدق البعض في التعبير عن بعض القيم، فإن ذلك لا يقدِّم ولا يؤخِّر شيئاً في مستقبل الأمّة. وهكذا فإن فخر الأخطل لا يخرج عن هذا الإطار، مع العلم بأنه لم يكن مبرِّزاً في هذا المجال، وقد تفوّق الفرزدق عليه وعلى جرير أيضاً. وأكثر أشعاره في الفخر كانت تأتي ضمن إطار شعره السياسي، أي متداخلة بالمدح والهجاء.

قال[1] يهجو القيسيين ويفتخر:

ألم تشكر لنا كلبٌ بأنّا ... جَلَونا عن وجوههم الغبارا
كشفنا عنهم نزواتِ قيسٍ ... ومثلُ جموعِنا مَنَعَ الذمارا
وكانوا معشراً قد جاورونا ... بمنزلةٍ فأكرمْنا الجوارا
فلمّا أن تخلّى الله منهم ... أغاروا إذا رأوا منّا انفتارا
فعاقبناهم لكمالِ عشرٍ ... ولم نجعل عقابَهم ضمارا
وأطفأنا شهابَهم جميعاً ... وشبَّ شِهابُ تغلبَ فاستنارا
فإنّا حيث حلَّ المجد يوماً ... حللناه وسرنا حيث سارا

إنه يفاخر كلباً بأنهم حموهم عندما اعتدت عليهم قيس، فهو وقومه يحترمون الجوار، وغيرهم يغدر، وهم شجعان لا ينامون على الضَّيْم يعاقبون أعداءهم ليسكتوهم تماماً، وتعلو رايات تغلب ويحلّ المجد في ربوعها.

وقال[2] من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان بعد ذكر الحبيبة:

---

(١) ديوانه: ١١٩.

(٢) ديوانه: ١١٠.

أعِـنّي أمـير المـؤمـنـين بـنـائـلٍ
وحُـسـنِ عطاءٍ، ليس بـالـريـث الـنَّـزْرِ
وأنـت أمـيرُ المـؤمـنـين، ومـا بـنـا
إلى صـلح قـيسٍ يـا ابن مـروان من فـقـر
ولمّـا تـبـيَّـنّـا ضـلالـة مُـصـعـبٍ
فـتـحـنـا لأهـل الشـام بـابـاً مـن النصرِ
فـأصـبـح مـا بـين الـعـراقِ ومـنـبـجٍ
لـتـغـلـب تَـردي بـالـردينـيـة الـسُّـمـرِ
إلـيـك أمـيرَ المـؤمـنـين نـسـيّرهـا
تخُـبُّ المـطايـا بـالـعـرانـين مـن بَـكـرِ

وكـان مهَّد لهـذه الأبيات بهجـاء القيسيين وغيرهم من الأعـداء، فذكر انتصار تغلب عليهم وهجاهم ثمَّ تخلَّص ليطلب من عبد الملك المكافأة، مُظهراً له بأن كل ما فعلته تغلب هو من أجل بني أميّة، فهم ما زالوا يدافعون عنهم، ولا حـاجة إلى السعي في الصلح، لأن الأمـور استتبَّت في العراق والجزيـرة لتغلبَ بالقـوّة، وإذا أذعنت قيس فليس ذلك عن رضىً وودّ بل من الخوف.

فـإن تـكُ قـيسٌ يـا ابن مـروانَ بـايـعـتْ
فـقـد وَهِـلتْ قـيسٌ إلـيـك، مـن الـعـذرِ

ولا بـدَّ من التذكـير، مرة أخـرى، بأن دينـه لعب دوراً في فخـره أيضاً، فليس هنالك من المآثر ما يستحق أن يتغنّى به كالفرزدق الذي كان يعتدّ بجود أجداده وعـظيم فعالهم، وكـانوا أثـرياء. بينما لم يكن الأخطل كذلك، ولم نرَ أنه فاخر على طريقة الفـرزدق، بل انحصرت مفاخراته، بما خاصته تغلب من حروب، وما قدَّمته من تضحيـات في

سبيل الأمويين. وقد قال[1] الأخطل مشيراً إلى شاعريته: «فَضَلتُ الشعراء في المديح والهجاء والنسيب، بما لا يُلحَق بي فيه». ولم يذكر الفخر، وقد ذكر أبياتاً في الفنون الثلاثة منها في المدح ما جاء في خفّ القطين: «الخائض الغمر...».

الرثاء:

وهو صوت النَّعي والتفجّع، والبكاء على الأموات، عُرف قديماً، حيث كان يستعر القتل، وعمليات الثأر على قدم وساق، فينبري شعراء القبيلة ليذكروا خصال الميت أو القتيل الحميدة، فإن لم يكن له من المكارم على الحقيقة، فإنهم يصطنعونها ويلصقونها به إلصاقاً، تماماً كما هي الحال في المديح. وفي صدر الإسلام، سكت الشعراء عن مثل ذلك، لإيمانهم بأن الإنسان لا يموت إلّا بأجل مكتوب، ومن يقتل منهم في سبيل الله فهو شهيد ومأواه الجنّة، فلماذا يبكونه؟! وخير ما نمثّل به ما كان من أمر الخنساء في الجاهلية، إذ بكت أخاها صخراً بكاءً لم تبكه امرأة، وفي الإسلام قُتل أبناؤها في القادسية، ويُقال كانوا أربعة، فلم تبك واكتفت بحمد الله تعالى لأنه أكرمهم بالشهادة ممّا أثلج صدرها.

ويأتي العصر الأموي، فنرى أن الرثاء عاد إلى الظهور، كما عاد غيره من الفنون التي كانت ضعفت سابقاً. ولكنه لم يكن على شاكلة رثاء الجاهليين، من حيث الصخب والضجيج، وحرارة الانفعال، إلّا ما نراه في مراثي شعراء الشيعة والخوارج لقتلاهم، فكان هؤلاء

---

(١) الأغاني: ٨/٢٩٧.

يرونها مناسبة لإذكاء الحماسة في صدور جموعهم المؤيِّدة لهم للسير قُدُماً في طريق الثورة ولو أدّى إلى الموت!

أمّا الأخطل، فإنه رثى يزيد بن معاوية في أبيات أربعة، كما مدح أحد كرام تغلب ببيت واحد وذلك كل ما وقعنا عليه في ديوانه. قال(١) في رثاء يزيد:

لعمري، لقد دلّى إلى اللحدِ خالدٌ
جنازة لا كابي الزِّنادِ ولا غُمرِ(٢)
مقيمٌ بحوّارين ليس يريمُها
سقتْه الغوادي من ثوي ومن قبرِ(٣)
تصيح الموالي أن رأوا أمّ خالدٍ
مسلّبةٍ تبكي على الماجدِ الغمرِ
إذا جاء سِربٌ من النساء يعُدنها
تعرَّين إلّا من جلابيب أو خُمرِ(٤)

وفي رثائه لأبي سمعان التغلبي يقول(٥):

لتبكِ أبا سمعان أطّاطة الضحى
إلى الكرْمِ مرزامٌ رِواءٌ جِرارُها(٦)

---

(١) ديوانه: ١٤٥.

(٢) خالد: هو ابن يزيد بن معاوية. كابي الزناد: لا تشتعل ناره. غُمر: مُهمل.

(٣) حوّارين: بلدة قرب حمص مات فيها يزيد. يريم: يبارح. الغوادي: السحابات الصباحية الماطـ الثوي: المقيم.

(٤) الخُمر: جمع الخمار: غطاء الرأس والوجه.

(٥) ديوانه: ١٩١.

(٦) أطاطة: نوّاحة. المرزام: الناقة الحنون.

ولم يزد عليه، أو على الأقل هذا ما وصل إلينا من خلال ديوانه. ويبدو أنه لم يرثِ لضعف عاطفته، وخشونته وسفاهته، وهو إذ يرثي يزيد، لا يجد ما يقوله، ليعبّر عن الفاجعة، فاجعة الموت وما تبعثه من مشاعر الأسى والحزن على الفقيد، خصوصاً إذا كان فاضلاً، محبوباً، ذا منزلةٍ في قومه ووسط أصدقائه، وكأني بالأخطل، كان يفتقد مثل هذا الشعور ولا يجيد غير السبّ والشتم. ولهذا، فإن الأبيات الأربعة المذكورة هي أقرب إلى وصف مشهد الدفن والمأتم، منها إلى الرثاء المعبّر عن الأحاسيس الصادرة عن أعماق النفس المتألمة للواقعة، فمع هول الموقف لم يلفت انتباه الشاعر إلاّ منظر أم خالد ومواليها وهنّ يبكين، وعليهن جلابيبهن وخمرهن!

وفي رثاء التغلبي، هو لا يبكي، بل يدعو «أطّاطة الضحى»، إلى البكاء، والنواح، وكأنّ الميت لا يعنيه بشيء.

الغـزل:

فن التحدُّث إلى المرأة وعنها، وقد أجاده الجاهليون، فتغزَّلوا وأفحشوا أحياناً، وجعلوا ذلك في مقدمات قصائدهم نهجاً، لم يخرجوا عنه، فبكوا على الحبيبة وتألموا لفراقها، ووقفوا على أطلالها وخاطبوها عبر الأثير، ونتنقل إلى العصر الإسلامي فيستمر الشعراء، على عادة الأقدمين في افتتاح قصائدهم بالمطالع الغزلية، ولكنهم ابتعدوا عن فاحش القول وكاذبه، وتقيّد أكثرهم بالأوامر والنواهي الشرعية. أمّا في العصر الأموي فقد صار الغزل فنّاً شعرياً قائماً بذاته، ولم يعد فقط يشكّل جزءاً من افتتاحية القصيدة، وانقسم

الغزل إلى تيّارين: تيّار عذري عفيف ورائده جميل بثينة، وتيّار إباحي حضري ورائده عمر بن أبي ربيعة، الذي كان يعشق الجمال ويلاحقه، فيتغزّل بكل حسناء يصادفها. وسار الشعراء على خطاه، وصاروا يسردون القصص والمغامرات العاطفية، ويعبّرون عن أشواقهم وأمنياتهم، ويتحدّثون عن صدّ الحبيب ووصاله، واقترن كل ذلك بالبيئة الأموية، التي ساهمت، وخصوصاً في المدن، بما وفّرته من ثراء وتحضّر وحرية في الاختلاط، شجّعت على الغزل وازدهاره.

والأخطل، أخذ بطرف، مما أباحته هذه البيئة، فاستمتع بوقته، في معاقرة الخمرة، وفي معاشرة النساء، وفي الملاهي الأخرى. وعبّر عن شغفه بالنساء، عن طريق النسيب الذي أجاد فيه باعترافه كما أسلفنا(١)، وضرب مثلاً على تفوّقه في النسيب فقال(٢):

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدرٍ
وإن كان حيّانا عِدى آخر الدهرِ(٣)
من الخفِراتِ البيضِ أمّا وشاحُها
فيجري وأمّا القُلبُ منها فلا يجري(٤)

---

(١) الأغاني: ٨/٢٩٧.

(٢) الأغاني: ٨/٢٩٧.

(٣) بنو بدر: فرع من فزارة بن ذبيان من قيس عيلان.

(٤) في الديوان:

أسيلةُ مجرى الدمع أمّا وِشاحُها فجارٍ وأما الحجلُ منها فما يجري

والحِجل: الخلخال. والقُلب: السوار.

تمـوت وتحـيـا بـالـضـجـيـج وتـلـتـوي
بمـطّرِد المـتـنـين مـنـبـترِ الخَصرِ

يذكر الحبيبة هنداً البدرية، ويبدي إعجابه ببياض بشرتها، ونحول خصرها وامتلاء ساقيها، وهي تصاب بالإغماء عند المضاجعة وتتلوّى بجانبيها وخصرها الضامر، وفي ذلك ما يرضي ذوق الشاعر.

وإذا مرّ بمكان، كان يحلّ فيه، يتذكّر الحبيبة، فتمرّ صورتها في خياله كما يشتهيها فيعبّر عما يدور في خاطره من شوق وهيام، ولا يستحي أن يصف مفاتن من يحب وصفاً دقيقاً كما فعل أعلاه، يقول[1] مثل ذلك في «أمّ هيثم»:

ألا طـرقـتـنـا لـيـلةً أمُّ هـيـثـم
بمـنـزلـةٍ تـعـتـادُ أرحُـلَـنـا فُـضـلا
تـروقـك عـيـنـاهـا، وأنـت تـرى لهـا
عـلى حيث يُلقى الـزَّوجُ منـبـطحـاً سـهـلا[2]
إذا الـسـابـريُّ الحـرُّ أخـلصَ لـونَها
تـبـيَّـنْـتَ لا جـيـداً قـصـيـراً ولا عُـطلا[3]
إذا مـا مَـشـت تهـتزُّ لا أحمـريّـةً
ولا نَـصَـفٌ تـظنُّ مـن جـسـمـهـا دَخَـلا[4]

---

(١) ديوانه: ٢٩٦.
(٢) الزوج: البساط يطرح على أرض الهودج.
(٣) السابريُّ الحرُّ: الثوب الرقيق الأبيض. أخلص لونها: أظهره واضحاً. العطل: بدون زينة.
(٤) احمرية: أعجمية. نَصَف: خادمة. الدخل: المرض.

يعبِّر عن اشتهائه الحبيبة، وكنَّاها أمّ هيثم، وكان تعوّد أن يلقاها في ذلك المكان، على ما يبدو، ولا يلبث أن يتخيَّل نفسه ينظر إلى عينيها وهي منبطحة في الهودج وهي ترتدي الثياب الرقيقة الشفُافة، تتأنَّق بزينتها، ثم يتخيَّلها إذا مشت فتهتزُّ أردافها لثقلها ذلك أنها عربية حرّة وليست خادمة.

نحن إذاً، أمام مواصفات ومعايير أخرى جديدة يحدِّدها الأخطل في المرأة التي تستهويه، وهي بمجملها لا تخرج عن المقاييس العامّة في الحسن والجمال، والتي كانت سائدة في الجاهلية. وهو ينبهر بسحر العينين، ولكنَّه لم يحدِّد اللون الذي يروق له وما إذا كان يميل إلى العين الواسعة كغيره من الشعراء. كذلك نراه يفضِّل العربية الحرّة على الأعجمية، والصحيحة الجسم ذات الردفين على المريضة الهزيلة. ويلتقي في ذلك كله مع شعراء عصره، وسابقيه أيضاً.

ولطالما وقف على الأطلال، في مطالع قصائده، فبكى الأحبّة، وتألَّم للفراق وعلى نهج امرىء القيس قال(1):

قفا يا صاحبيّ بنا ألمَّا ... على دِمَنٍ نُسائلُها سؤالا
قفا زورا منازلَ أمِّ عمروٍ ... ورسماً بالمنازل قد أحالا
أهاضيبُ الدجى من كلِّ جَوْنٍ ... سقاها بعد ساكنها سِجالا

هي بقايا أمّ عمروٍ إذاً، وقد غيَّر معالمها المطر، وهي خالية ليس

(1) ديوانه: ٢٦٨.

فيها أنيس، وترابها قد نسجته الرياح وتلاعبت بـه، وذرته كـالطحين مع مرور الزمن، لا يستطيع أن ينسى أم عمرو:

ليـاليَ مـا تـزال من أمُ عمـروٍ تـرى في كـل منـزلـةٍ خيـالا
يـفجِّـعني بـفـرقتِهـم رجـالٌ أرادوا أن يـزيـدوني خَـبـالا

ويُفجـع برحيلهـا ألا وهي، إذا قارنها بـالظبيـة، أحسن منها مُقلةً وجيـداً، وهي جميلة الوجـه، ناعمـة، أسنان بيضـاء كالـبرق تلمـع، تفوح من فمها رائحة المسك، وريقهـا عذب كـأنه مـاء عذب خـالط الخمرة.

فـليست ظبيـةٌ غـرّاء ظلّتْ بـأعلى تَلعـةٍ تُـزجي غـزالا
بـأحسنَ مُـقلةً مِـنهـا وجيـداً ووجهـاً نـاعـماً كُـمي الجـمالا
جـرى منهـا السـواكُ عـلى نقيٍّ كأنّ البرقَ إذ ضحكت تِـلالا[1]
كـأنَّ المسكَ عُـلّ بهـا ذكيّـاً وراحـاً خالط العـذبَ الزُّلالا[2]
إذا مـا القُلبُ والخلخال ضـاقا جـرى منهـا وشـاحـاهـا فجـالا
تضمُّ ثيـابُهـا كشحـاً هَضيـماً وأردافـاً إذا قـامت ثـقـالا[3]
إذا قـامـت تنـوء بمـرُجَـجِـنّ كدِعص الرمـلِ ينهالُ انهيـالا[4]

---

(١) السواك: عود الأراك يُستعمل لتنظيف الأسنان. النقي: الأسنان البيضاء.
(٢) الراح: الخمرة.
(٣) الكشح المضيم: الخصر الضامر.
(٤) المرجحن: الأرداف المرتجة. دعص الرمل: ما اجتمع منه.

وأحسب أن الأخطل جمع في هذه الأبيات كل الصفات التي يتمنّاها في الحبيبة، وهي نفسها الصفات التقليدية التي طالما تغنّى بها الشعراء من قبل. ولا يخفي بعد ذلك لوعته وشوقه ويتساءل عن سبب بُعدها أهو الدلال أم أنها القطيعة؟ فإن كان الدلال، فهو يريدها ولا يحيد عنها، لأنّه يحبها وكاد ذلك الحبّ أن يورثه السّلّ، لأنّه حبٌ عفيف على حدِّ زعمه:

فإن يكن الدلال فأنت منّي   يمينٌ لا أريد بها شِمالا
ألم يكُ حبُّكم في غير فُحشٍ   زماناً كاد يورثني سُلالا[1]؟

وننتقل إلى قصيدة أخرى في مدح الحجّاج بن يوسف فاستهلّها كالعادة بالغزل:

صَرمتْ حبالَك زينبٌ وقذورُ   وحبالُهن إذا عقدن غرورُ[2]
يرمين بالحدقِ المِراضِ قلوبَنا   فغويُّهن مكلّفٌ مضرورُ
وزعمن أني قد ذهِلتُ عن الصبي   ومضى لذلك أعصرٌ ودهورُ

إنه كلِفٌ بالنساء، وقلبه هائج، وهنّ يصددن عنه، فيزداد تعلّقاً بهنّ، وها هو يعود إلى الإباحة مرّة أخرى فيقول[3]:

---

(١) السّلال: السّل.
(٢) زينب وقذور: امرأتان.
(٣) ديوانه: ٩٦.

إذ بتُّ أنزع عنها حليها عبثاً
بعد اعتناقٍ وتقبيلٍ وتجريدِ
وقد سقتني رُضاباً غير ذي أسَنٍ
كالمسكِ ذُرَّ على ماءِ العناقيدِ

فلا يرى الشاعر ضيراً في أن يصرّح بما في نفسه وبما يفعله من مغامرات غرامية ولو خرج عن الحياء.

والخلاصة في غزل الأخطل، أنه أحسن في التعبير عن صفات الحسن والجمال عند المرأة فوصفها وصفاً حسّياً مادياً، لذلك غلب الجفاف على مقطوعاته الغزلية لضعف العاطفة عنده، فهو شديد التكلُّف في شعره، وإذا كان التكلُّف مقبولاً في المديح أو الفخر، فإنّه يستثقل في الغزل، لأن هذا الفن ألصق بالوجدان، وينبغي أن يصدر عن إحساس حقيقي، عن انفعال لا افتعال وتصنّع، لأنه لم يعش تجربة حبٍّ صادقة، فكلّ همّه أن يرقى بشعره إلى المستوى الذي نعرفه في شعر زهير بن أبي سُلمى والنابغة الذبياني، ولم يلتفت إلى الأثر السيّء الذي قد يؤدّي إليه تكلّفه الغزل. وقد لا نخطىء إذا قلنا إن بداوته، وارتباطه بالماضي وعاداته ارتباطاً وثيقاً جعلاه فظاً غليظاً، خشن الطبع، لم تعرف نفسه الصفاء والنقاء، ولم يعرف الحب الحقيقي طريقاً إلى نفسه المشوَّشة، لنصرانيته ولتهتكه ولعصبيّته العمياء، على عكس جرير الذي هذّب الإسلام نفسه ونقّاها، فجاء غزله رقيقاً صادقاً نابعاً من الأعماق، معبّراً عن انفعالات النفس وميولها وآلامها.

خمرياته.

الخمرة، رفيقة الشاعر الجاهلي، فأكثرهم شربها وتغزّل بها تغزُّله بالمرأة، وأفاض في وصفها والتحدُّث عنها ومناجاتها، ونعتها بصفات إنسانية أحياناً لشدّة شغفهم بها، كما تناولوا أثرها في النفس ومفعولها وأخذها بالعين وتخدير الأعضاء، والذهاب بالعقل. وكان الجاهليون إذا افتتحوا القصيدة بالغزل، توسّعوا بعد ذلك في الحديث عن الخمرة، فكأنّ الخمرة والمرأة عندهم لا ينفصلان، لسبب بسيط هو لأنهما كانا يمثّلان فرح الجاهلي ورمز تمتّعه بالحياة. وأشهر من وصف الخمرة الأعشى الأكبر ميمون بن قيس. أما في صدر الإسلام، فقد أحجم الشعراء عن وصف الخمرة لأنها حرّمت فامتنعوا عن شربها أو حتى ذكرها بما يزيّنها للنفس. ولكن ظهرت فئة، أصرّت على ذلك لفترة أيام العهد الراشدي لخلافة عمر بن الخطّاب مثل الحطيئة وعمر بن معد يكرب وأبي محجن الثقفي. ثم نأتي إلى العصر الأموي، فنرى أن بعض الشعراء عادوا ليجاهروا بشرب الخمرة وأمعنوا في وصفها، وعلى رأسهم الأخطل، الذي كان يشرب الخمرة ويدخل على عبد الملك بن مروان كما أشرنا سابقاً، وكان الخلفاء الأمويّون يتغاضون عنه[1]، لأنه شاعرهم الأقوى، والذي لا يبالي في شتم أعدائهم أيّاً كانوا. وممّا يرويه[2] صاحب الأغاني أنه دخل على عبد الملك فاستنشده فقال له: قد يبس حلقي فمرْ من يسقيني، فعرض عليه الساقي الماء واللبن والعسل فامتنع عن ذلك كله وطلب الخمرة من أمير المؤمنين، فغضب عبد الملك وقال: «أوَعهدتني أسقي

(١) الأغاني: ٨/٣٠٦.

(٢) الأغاني: ٨/٢٩٤.

الخمر لا أمّ لك! لولا حُرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت!»، فخرج الأخطل ولم يعد حتى استسقى الخمرة، ثم عاد إلى مجلسه مع الخليفة وأنشده «خفّ القطين». فطرب لها عبد الملك وأمر له بجوائز عظيمة وأطلق عليه لقب «شاعر بني أميّة».

وقال في الخمرة(١) بين يدي عبد الملك:

وكأسٍ مثل عين الديك صِرفٍ
تنسّي الشاربين لها العقولا
إذا شرب الفتى منها ثلاثاً
بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قُرشيّةً لا شكّ فيها
وأرخى من مآزره الفضولا

وكانت هذه الأبيات تمهيداً للتعريض بزفر بن الحارث وللتحريض ضده. وهو قد تعرض لأمرين في حديثه عن الخمرة، أولاً للونها وصفاتها فهي كعين الديك، ثانياً تحدّث عن مفعولها خصوصاً إذا لم تُمزج بماء، فتذهب بالعقل، فيعيش شاربها في عالم آخر بعيداً عن الواقع. ونظراً لأهمية الخمرة عنده، ولشدّة تعلّقه بها، ادّعى أنها هي التي تمنعه عن الدخول في الإسلام، لأن الإسلام يحرّمها فماذا يصنع؟!(٢) ليس غريباً بعد ذلك أن يكثر من ذكرها وأن يتغزّل بها،

---

(١) الأغاني: ٨/٢٩٦.

(٢) الأغاني: ٨/ ٢٩٠.

ويساوي بين مفعولها وبين تأثير النساء، قال[1] يبكي الحبيبة:

فلو كان مبكى ساعةٍ لبكيتُها
ولكنّ شرّ الغانيات طويلُ
ظللتُ كأني شاربٌ أزليّةً
ركودُ الحُميّا في العظامِ شمولُ[2]

فكما أنّ الخمرة، إذا شربها، تتمشّى في عظامه وتأخذ بوعيه كذلك تركته الحبيبة إذ هجرته وارتحلت، فكيف يداوي ما فعلت في نفسه؟

ويخاطب لائمته على شرب الخمرة قائلاً[3]:

ألا لا تلوميني على الخمر عاذلاً
ولا تُهلكيني إنّ في الدهر قاتلا
ذريني فإنّ الخمرَ من لذّةِ الفتى
ولو كنتُ موغولاً عليّ وواغلا[4]
وإنّي لشرّابُ الخمورِ معدّلٌ
إذا هرّتِ الكأسُ الرخام التنابلا[5]

---

(١) ديوانه: ٢٩٨.

(٢) أزلية: أراد الخمرة المعتّقة، والأزلي عند أهل العلم والنظر هو الله تعالى ولا يوصف بالأزليّة غيره وهي بمعنى: أن لا بداية لوجوده. الشمول: الخمرة التي تأخذ برأس شاربها.

(٣) ديوانه: ٢٩٩.

(٤) الموغول: الذي يدخل عليه الناس وهو يشرب، والواغل عكسه.

(٥) معدّل: مستقيم. الرخام: جمع رخيم: لين. تنابل: جمع تنبال: ساكن.

هي لـذّة لا تعادلها لذّة، ولا تحلّ محلّها متعـة، وهي إذا أخـذت بعقله، فإنها لا تمنعه من القيام بأعمال عظيمة، وقول سديد الكلام:

أخـو الحـرب ثبتُ الـقـولِ في كـلّ مـوطـنٍ
إذا جـشـأت نـفسُ الـعـيـي الـمـحـافـلا[1]

وتناول في هذه الأبيات الخمرة من جميع جوانبها فذكر لونها وأثـرها ودنانها وكذلك الندامى والجلساء فقال:

وشـارب مُـربـحٍ بـالـكـأسِ نـادمـني
لا بـالحَـصُـورِ ولا فـيـهـا بـسـوّارِ[2]

مـن خمـر عـانـة ينـصـاع الـفـرات لهـا
بـجـدولٍ صـخِـبِ الآذي مـرّارِ[3]

وهي خمرة معتّقة، قد ختمت برداء من الليف والقـار، ثم نسجت عليها العنكبوت، وفي ذلك دليل كافٍ على قدمها وجودتها:

لهـا رداءان: نـسـجُ الـعـنـكـبـوتِ وقـد
حُـفّـتْ بـآخـر مـن لـيـفٍ ومـن قـارِ

ويـأتي إلى اللون، فهي صهباء، هكـذا كـان يفضّلهـا، كـما كـان أسلافه كالأعشى وطرفة يقول:

صـهـبـاء قـد كَـلِفَتْ مـن طـول مـا حُبِسـتَ
في مُخـدعٍ بـين جـنّـاتٍ وأنهار[4]

(١) جشأت: أخرجت صوتاً من البطن. العيي: المتعب.
(٢) مربح: ينفق على الخمر دون حساب. الحصور: البخيل. سوّار: معربد.
(٣) عانة: موضع على نهر الفرات. الآذي: الموج. المرّار: السريع.
(٤) الصهباء: الخمرة المعصورة من العنب شقراء اللون، كلفت: خالطها سواد.

تـدمـى إذا طـعـنـوا فـيـهـا بـجـائـفـةٍ
فـوق الـزجـاجِ عـتـيـقٌ غـيـرُ مُـسـطارِ[1]
كـأنّمـا المـسـك نُهـبـى بـين أرحـلنـا
ممـا تـضـوّع مـن نـاجـودِهـا الجـاري[2]

وفي الأبيات التالية يصوّر تأثيرها أيّما تصوير، فيصف حال من ناله السكر فبات يمشي متمايلاً فلا تقوى مفاصله وعظامه على حمله، قال[3]:

صريـعُ مـدامٍ يـرفـعُ الـشّـربُ رأسَـه
ليـحـيـا، وقـد مـاتـت عـظام ومـفـصِـلُ[4]
نهاديـه أحـيـانـاً، وحـيـنـاً نـجـرّه
ومـا كـاد إلاّ بـالحـشـاشـة يـعـقـلُ[5]
إذا رفـعـوا عـظماً تحـامَـل صـدره
وآخـرُ، ممـا نـال مـنهـا مخـبّـلُ[6]

ثم يتابع، بعد أن بيّن أثرها في العقل والعظام والمفاصل، ليبرّر شربها، وكان أقسم أن يمتنع عنها ولكنه رأى منها ما يغريه فعاد عن قسمه خصوصاً وأنها خمرة آتية من فلسطين، فنادى:

---

(١) جائفة: طعنة تصل إلى الجوف. عتيق: خمرة عتيقة. مسطار: خمرة حديثة.
(٢) نُهبى: منتشر. الناجود: أول ما يخرج من الخمرة.
(٣) ديوانه: ٢٢٣.
(٤) المدام: الخمرة المعتقة.
(٥) الحشاشة: ما بقي من الروح.
(٦) مخبّل: فاقد الوعي.

فقلتُ: اصبحوني لا أبا لأبيكم
وما وضعوا الأثقال إلّا ليفعلوا[1]

شربت ولاقاني لحِلٍّ أليّتي
قِطارٌ تروّى من فلسطين مُثقلُ[2]

فلذّت لمرتاحٍ، وطابت لشاربٍ
وراجعني منها مِراحٌ وأخيلُ[3]

إذاً، شربه للخمرة يبعث فيه السرور والنشاط، والخيلاء والزهو، وهي ليست خمرة عادية إنما معتّقة تتألّق كأنّها شعلة، وهي تدبُّ في العظام، كما يدبُّ النمل في كثيب من الرمل، فيشعر حيالها المرء بارتخاء يترافق مع نشوة، ولكن الشاعر يستدرك أنها عنيفة قويه فيطلب التقليل من فاعليتها بقتلها أي بمزجها مع الماء:

فقلتُ اقتلوها عنكم بمزاجها
فأطيِب بها مقتولةً، حين تُقتَلُ

وممّا يدلُّ على تهتُّكه ووقاحته وشغفه بالخمرة، ما قاله[4] عندما عُرض عليه أن يسلم:

ولستُ بصائم رمضان طوعاً ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بقائمٍ أبداً أنادي كمثلِ العِير، حيّ على الفلاح
ولكنّي سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

---

(١) اصبحوني: اسقوني خمرة الصباح.
(٢) ألية: يمين. القطار: قافلة الإبل.
(٣) المراح: السرور. الأخيل: الذي يتخايل.
(٤) ديوانه: ٧٢.

وأخيراً، فإن الأخطل قد تفوّق في وصف الخمرة على أقرانه، وخصوصاً على صاحبيه جرير والفرزدق، ولذلك أسبابه منها: كونه نصرانياً لم يجد ما يمنعه من الشرب والوصف، والعكس فيما يتعلّق بصاحبيه فإن الإسلام قد ضيّق عليهما، فلم يُقبلا على الخمرة ولم يذكراها، ولا ينسحب هذا الكلام على كل الشعراء المسلمين، فبعضهم حذا حذو الأخطل كابن أرطاة[1]. والسبب الثاني في تفوّق الأخطل هو حبُّه للخمرة، فإنه كان يعشقها عشقاً لم يسبقه إليه إلاّ الأعشى، لذلك، قلّده في وصفها. ولو تتبّعنا نقاط التشابه لوجدناها كثيرة من ذلك معنى الدبيب والتمشي في العظام أخذه من قول[2] الأعشى:

تدبُّ لها فترةٌ في العظام وتُغشي الذؤابةَ فوّارَها[3]

ومعنى الصفاء، الذى عبّر عنه بتشبيهه الخمرة والكأس بعين الديك سبقه إليه الأعشى أيضاً[4]:

كميتٍ يُرى دون قعر الإنا كمثل قذى العين، يُقذى بها

ولا يخفى أنه كان يربط الخمرة بمجالس الأنس، فيذكر الندمان، ويصف الأدوات والدنان والساقي أو الساقية، فضلاً عن أثرها وما تحدثه من النشوة والفرح في عقل شاربها.

ومن حيث أسلوبه، فإنه لم يخرج عن نهجه في اختيار ألفاظه،

---

(١) الأغاني: ٢/٢٤٢.

(٢) ديوانه: ٣١٩.

(٣) الذؤابة: مقدم شعر الرأس.

(٤) ديوانه: ١٧٣.

وتوقيعها في مواقعها مع الحفاظ على الرصانة والنغم الموسيقي والخفّة التي تقتضيها المناسبة، فلم يتكلّف للخمرة تكلُّفه للمدح أو الفخر أو حتى الغزل. ويسجّل هنا بُعدُه عن التصنّع لأن الموضوع قريب إلى الشاعر، لذلك نلحظ صدقاً في ما يقول، فليس ثمّة ما يدفعه لأن يتكلّف ما ليس يحسّ به في هذا المجال، لعلمنا بما في نفسه من شوق وحب للخمرة. وإذا كان الأخطل قد أخذ عن الأعشى، فإنه ترك هو الآخر أثره في الذين جاؤوا من بعده، ومن يطالع خمريات أبي نواس يلحظ ذلك عن كثب.

الوصف:

وهو فن الكشف والتصوير الكلامي، ونقل دقائق المشاهد المرئية والمتخيّلة، ويتداخل الوصف في الفنون الأخرى، فإذا امتدح الشاعر وصف، وإذا تغزّل وصف، وهكذا فعلاقته بغيره من الفنون قوية، بحيث إنّه لم يُعرف كفنٍّ مستقلٍّ إلّا في العصر العباسي، بينما كان في الجاهلية وفي صدر الإسلام، وكذلك في عصر بني أميّة يشكّل جزءاً عارضاً من قصيدة كبرى، ومن أهم ما تناوله القدامى وصف الخيل والسيف والأسد والناقة والحرب وما يتصل بحياة الشاعر بشكل مُلحّ، وللأخطل في وصف خيل التغلبيين مقطوعة رائعة قلّ مثيلها قال[1]:

مِن كلِّ مجتَنَبٍ شديدٍ أسرُهُ
سَلِسِ القيادِ تخاله مختالا[2]

---

(١) ديوانه: ٢٤٧.

(٢) مجتنب: فرس شرِس. اسره: خُلُقه.

ومُمَرَّةٍ أثَرُ السلاح بنحرها
فكأنَّ فوق لبانِها جريالا[1]

قُبُّ البُطونِ قد انطوين من السُّرى
وطرادِهِن إذا لقين قتالا[2]

مُلحَ المتونِ، كأنما ألبَسْتَها
بالماء إذ يبسَ النضيحُ جِلالا[3]

حاول الأخطل أن ينوِّه ببطولات بني تغلب، فبعد أن مدحهم وفاخر بحسن صنيعهم في الحرب، لم يفته أن يذكر ما كان لخيولهم من دور، لما تتمتّع به من المزايا الكريمة، هي خيول قوية، شرسة تنقاد لأصحابها وفرسانها، ضامرة البطن، تتحمّل المشقّات، تمشي المسافات الطوال ولا تشكو، وفي الحرب تتصبّب عَرَقاً من الجهد والتعب، فإذا يبس ذلك الماء، تحسب أن عليها جلالاً لما تراكم على ظهورها من الغبار، كناية عن مجالدتها وقوّة احتمالها ومطاوعتها للمقاتلين على ظهورها.

وقال[4] في الشيب والشباب:

قد كنّ يعهدن مني مضحكاً حسناً
ومفرِقاً حسرتْ عنه العناقيدُ[5]

---

(١) المُمَرَّة: الخيول السهلة الركوب. اللبان: الصدر. الجِريال: صباغ أحمر.
(٢) قب البطون: ضمّر. الطِّراد: المطاردة.
(٣) النضيح: العَرَق.
(٤) ديوانه: ٧٨.
(٥) المضحك: الثغر الباسم. العناقيد: ضفائر الشعر.

يقلن لا أنت بعلٌ يستقادُ له
ولا الشبابُ الذي قد فات مردودُ
هل للشبابِ الذي قد فات مردودُ
أم هل دواءٌ يردُّ الشيب موجودُ
لن يرجع الشيبُ شبّاناً، ولن يجدوا
عِدلَ الشبابِ لهم، ما أورق العودُ
إنَّ الشباب لمحمودٌ بشاشَتُه
والشيبُ مُنصرفٌ عنه ومصدود

يقارن بين أيام الصبا والشباب، وما تحمله من روعة ومرح، وبشاشة، بينما إذا بلغ الإنسان المشيب، تصدّ عنه الحِسان ولا يجد إليهن سبيلاً، فشتّان ما بين الحالين، لذلك نراه يشتهي لو يجد دواءً يعيد إليه شبابه.

أما الناقة فقد أكثر من وصفها، لأن ذلك تقتضيه طريقته في افتتاح القصائد وتدرُّجه من الغزل إلى وصف الرحلة وبالتالي ذكر الناقة ألا وهي وسيلة النقل. يقول[1] في قصيدة مدح فيها خالد بن عبد الله بن أسيد:

ترى العِرمِس الوجناء يضرب حاذَها
ضئيلٌ كفرُّوج الدجاجة معجَلُ[2]
وقد ضَمَرتْ حتى كأنَّ عيونَها
بقايا قِلاتٍ أو ركيٌّ ممكَّلُ[3]

---

(١) ديوانه: ٢٢٧.

(٢) العرمس الوجناء: الناقة القوية. الحاذ: الجانب. الضئيل: الخفي. المعجل: الناقة تلد قبل الأوان.

(٣) القِلات: ثقوب في الجبال تجتمع فيها الماء. ركي ممكَّلٌ: بئر قليلة الماء.

وغـارت عيـونُ العيسِ والتقت العُـرى
فهـنَّ، مـن الضراء والجهـد نُحَّـلُ
وصـارت بـقـايـاهـا إلى كـل حُـرَّةٍ
لها بعـدَ إسـآدٍ مِـراحٌ وأفـكـلُ(١)

إن الرحلة التي تقوم بها هذه النياق شاقّة للغاية مما جعل الشديدات منهنَّ تضع حملها قبل أوانه، وقد أصابها الهزال والضعف لما بذلت من جهد.

خصائصه العامة ومكانته:

لقد تفوق الأخطل على شعراء عصره في المدح خصوصاً، لأنه كان يستمد معانيه من العناصر القديمة، والبدوية، وكان يحيط إحاطة تامّة بالوقائع والظروف السياسية في عصره، وانعكاسات الأحداث القبلية، فاستغلَّ كل ذلك ليمدح بني أميّة فأرضى أذواقهم ونال أعطياتهم، وهو وإن ضيّق عليه كفره، فلم يكن بعيداً عن المفاهيم الإسلامية السائدة، فإنّه وعى الكثير منها ووصف عبد الملك وغيره بأنه إمام وخليفة، وأمير المؤمنين، وغير ذلك من صفات هيَّأتها البيئة الدينية الجديدة، ولم يمدحه بالتقوى والخوف من الله وقراءة القرآن وقيام الليل مثلاً، فمثل ذلك كان بعيداً عن ذهنية الأخطل لبعده عن الإسلام من جهة ولإدراكه أن الأمويين أرادوا منه تهشيم الأعداء بالدرجة الأولى وقد فعل، ثم أن يدعو إلى تأييدهم، وقد أشاد بخلافتهم وزعم أن حقّهم حقٌّ إلهي لا يُنازعون فيه، واستحضر لهم من الصفات والفضائل بما يليق بخليفة، ولذلك استخفَّ الطرب عبد

(١) الحرة: الناقة الكريمة. الإسآد: السير طيلة الليل. مِراح: نشاط. أفكل: مرتعدة.

الملك بن مروان عند سماعه «خفّ القطين» واعتبرها «الزامرة» وأمر بتنصيب الأخطل شاعر بني أميّة بل هو بنظره «أشعر العرب» وشاعر أمير المؤمنين كما بيّنا.

إذاً كان الأخطل يلجأ إلى القديم بكل ما فيه من المعاني المدحيّة، مما جعل النقّاد يقولون[1]: إنه أشبه الثلاثة بالجاهلية. وجرير قال: «لقد أعنتُ عليه بكفرٍ وكبر سنٍّ، وما رأيته إلاّ وخشيت أن يبتلعني»[2].

ولا يختلف في هجائه كثيراً عن المديح، من حيث اعتماده على القديم، ولكن بعض النقّاد يقدّمون[3] عليه جريراً، ولكن الدكتور شوقي ضيف يستدرك فيقول[4]: «حقاً هو والأخطل كانا فرسي رهان، وكان يتفوّق منهما في العادة من يكون صاحب النقيضة الأولى، لأنه حرٌّ ولا يتقيّد بمعانٍ خاصة ولا بأوزانٍ وقوافٍ خاصة»..

ويتميّز هجاؤه بالاعتدال، أي هو لم ينهش في الأعراض، ولم يفحش، بل اكتفى بذكر النقائص والعيوب في مهجوّه، بالمنظار التقليدي، وتنقصهم بالبخل والجبن والدناءة، والتقصير عن المكارم عموماً، لذلك يرى الدكتور شوقي ضيف أن جريراً تفوّق على صاحبيه لأنه كان «ينصب انصباباً على خصمه، يريد أن يطعنه الطعنة المصمية»، وعندما يتحدث عن الأخطل والفرزدق يقول[5]: «ومن هنا كانا لا يعمدان إلى السبّ والقذف على نحو ما يعمد جرير، فهما

(١) الأغاني: ٢٩٢/٨. والقول لأبي عبيدة.
(٢) الأغاني: ٢٩٩/٨.
(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي: ٢٠٩.
(٤) المصدر نفسه: ٢٠٩.
(٥) التطور والتجديد في الشعر الأموي: ٢٠٩.

يحتشمان»، وهذا يذكّرنا بعبارة الأخطل عن نفسه حيث قال[1]: «ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها». وقال بأنه تفوّق على أقرانه في المديح والهجاء والنسيب، وذكر أبياتاً في كل فن، ومما قاله في الهجاء[2]:

وكنتَ إذا لقيتَ عبيدَ تيمٍ وتيماً قلتَ أيهم العبيدُ
لئيمُ العالمين يسودُ تيْماً وسيّدُهم وإن كرِهوا مسُودُ

فقال ناقل الخبر: وصدق لعمري، لقد فَضَلهم.

وكان الأخطل يقدّم[3] الأعشى على نفسه ويعتبره أشعر الناس ويقول عنه: «كان إذا مدح رفع، وإذا هجا وضع»، ثم يضع بعده ابن العشرين ويقصد طَرَفة، وينزل نفسه في المرتبة الثالثة. وقد فضّله يونس بن حبيب النحوي على غيره وقال[4]: «أجمعت العلماء على الأخطل»، وذلك لأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحشٌ ولا سَقَط. وقال[5] أبو عبيدة: «الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدّهم أسر شعر، وأقلّهم سقطاً». وشبّهه بالنابغة «لصحة شعره». وعن الفرزدق أنه قال[6]: «الأخطل أمدح العرب».

وهكذا، تتباين الآراء، فمن قائل بأن الأخطل أشعر العرب، إلى

(١) الأغاني: ٨/٣٠٠.
(٢) الأغاني: ٨/٢٩٨.
(٣) الأغاني: ٨/٢٩٣.
(٤) الأغاني: ٨/٢٩١. وقصد بالعلماء: ابن أبي إسحاق، وأبو عمر بن العلاء، وعيسى بن عمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن.
(٥) الأغاني: ٨/٢٩٢.
(٦) الأغاني: ٨/٢٨٦.

قائل بأنه أمدح العرب، إلى مَن يقدِّمون عليه جريراً أو الفرزدق، الأول في الهجاء والثاني في الفخر، يبقى أن نقول بأن للأخطل مكانة لا ينكرها عليه منكر. ومع كل مهارته، فإنه كان يسقط أحياناً، من ذلك أنه مدح سِماكاً الأسدي من بني عمرو بن أسد، وكانوا يلقِّبونه القُيون، فمدحه قائلاً[1]:

نِعمَ المجيرُ سِماك من بني أسد
بالقاع إذ قتلت جيرانها مُضرُ
قد كنت أحسبه قيناً واخبَرُهُ
فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشَّرِرُ
إنَّ سِماكاً بنى مجداً لأسرته
حتى الممات وفِعلُ الخير يُبتدر

فقال سِماك: يا أخطل، أردت مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحقّقته.

أما ما أجمع عليه أهل النقد والأدب، فهو كون الشاعر جزل الألفاظ، قوي الأسلوب، رصين، لا يرضى عن شعر يقوله إلا بعد تنخيله وتنقيحه، فهو على منهج المدرسة الأوسية في الشعر، وتأثُّر خصوصاً بالنابغة الذبياني، ليس فقط ببعض صوره ومعانيه بل في ما يتعلّق بالتنقيح أيضاً.

وعن الأصمعي: «إن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيّرها»[2].

---

(١) الأغاني: ٣١٢/٨.
(٢) الأغاني: ٢٨٤/٨. يطيّرها: يذيعها.

الخاتمة

تناولت في هذا الكتاب الأخطل وعصره، ولما كان العصر الأموي عصراً تضاربت فيه الأهواء، وكثرت فيه الأحزاب، فإن الشعراء كانوا الصوت المعبّر عن مختلف الشؤون، فارتفع صوت الأخطل وجلّ، فقرّبه بنو أميّة لما رأوا فيه من صفات تؤهّله أن يكون ناطقاً باسمهم، مدافعاً عنهم، هاجياً لأخصامهم. فنهض بما انتدب إليه واحتلّ المكانة العالية عند الحكام وحظي بالأموال الجزيلة، وقدّم لقبيلته خدمات كبيرة، فدافع عن مصالحها وفاخر بأعمالها تجاه البيت الأموي ليبقي على تميُّزها عن غيرها، وبذلك عاش حياته في خدمة مصالح الحزب الأموي الحاكم من جهة وفي خدمة مصالح قبيلته تغلب من جهة أخرى.

والحمد لله رب العالمين

مختارات

خفّ القطين

في مدح عبد الملك بن مروان
البحر البسيط

زعم الأخطل أنه أفنى في نظم هذه القصيدة حولاً وما بلغ كل ما أراد.

الأغاني الجزء السابع صفحة ١٦٤

خَفَّ القَطينُ فراحوا منكَ أوْ بَكَروا
وأزْعَجَتْهُمْ نوىً في صَرفِها غِيَرُ[1]

كأنّني شارِبٌ، يومَ اسْتُبِدَّ بهمْ
مِن قَرْقَفٍ ضَمِنَتْها حِمصُ أوْ جَدَرُ[2]

جادَتْ بها مِنْ ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ
كَلْفاءُ يَنْحتُّ عن خُرْطومِها المَدَرُ[3]

لَذٌّ أصابَتْ حُمَيّاها مَقاتِلَهُ
فلَمْ تَكَدْ تَنجلي عَنْ قَلْبِهِ الخُمَرُ[4]

---

(١) القطين: السكان. النوى: البعد. الصرف: التغيُّر.

(٢) قرقف: خمرة. جدر: قرية معروفة بالخمرة.

(٣) ذوات القار: الخوابي.. مترعة: ملآنة. الخرطوم: فتحة الخابية. المدر: الطين.

(٤) الحميا: الحدة.

كـأنّـني ذاكَ، أو ذو لَـوْعـةٍ خَـبَـلَتْ
أوصـالَـهُ أو أصـابَـتْ قَـلْبَـهُ الـنُّشَرُ[1]
شَـوْقـاً إلَـيْـهِـمْ، وَوجـداً يـوْمَ أُتْـبِـعُـهُـمْ
طَـرْفي، ومـنهُـمْ بـجـنْـبَـيْ كـوْكـب زُمَـرُ[2]
حَـثّـوا المـطيَّ، فـوَلَّـتْـنـا مَـنـاكِـبَـهـا
وفي الخُـدورِ إذا بـاغَـمْـتَـهـا الـصُّـوَرُ[3]
يُـبْـرِقْـنَ بـالـقَـوْمِ حـتى يَخْـتَـبِـلْنَـهُـمْ
ورأيُـهُـنَّ ضَـعـيـفٌ، حـيـنَ يُخْـتَـبَرُ[4]
يـا قـاتَـلَ الـلّهُ وَصْـلَ الـغـانِـيـاتِ، إذا
أيْـقَـنَّ أنَّـكَ مِمَّـنْ قَـدْ زَهـا الـكِـبَرُ[5]
أعْـرَضْـنَ، لَمّـا حَـنى قَـوْسي مُـوَتِّـرُهـا
وابْـيَـضَّ، بـعْـدَ سَـوادِ الـلِّمّـةِ الـشَّـعَـرُ[6]
مـا يَـرْعَـويـنَ إلى داعٍ لحـاجَـتِـهِ
ولا لَهُـنَّ إلى ذي شَـيْـبَـةٍ وَطَـرُ[7]
شَـرَّقْـنَ إذْ عَصَرَ الـعِـيـدانُ بـارِحُـهـا
وأيْـبَـسَـتْ غَـيرَ مجْـرَى الـسِّـنّـةِ الخُضَرُ[8]

---

(١) خبلت: اضطربت.
(٢) كوكب: رابية بالخابور. زُمر: جماعات.
(٣) خدور: مخابىء.
(٤) يبرقن: يلحن.
(٥) زها الكبر: لاح الشيب.
(٦) حنى قوسي: حنى ظهري. اللمّة: شعر تحت الأذن.
(٧) ما يرعوين: لا يخفن. الوطر: الغرض.
(٨) عصر العيدان: يبست. بارح: ريح بارد.

فَـالـعَـيْنُ عَـانِـيَـةٌ بـالمـاء تَـسْـفَـحُـهُ

مِـنْ نِـيَّـةٍ في تَـلاقـي أَهْـلِهـا ضَـرَرُ[1]

مُنْقَضِبِـينَ انقضـابَ الحبـلِ ، يَتْبَعُهُـم

مِنَ الشَّقِيقِ وعَينُ المُقْسَمِ الوَطَرُ[2]

حتى هَبَطْنَ مِنَ الوادي لِغَضْبَتِهِ

أرْضاً تَحُلُّ بها شَيْبانُ أو غُبَرُ[3]

حتى إذا هُنَّ وَرَّكْنَ القَضيمَ وقَدْ

أشْرَفْنَ، أوْ قُلْنَ هذا الخندقُ الحَفَرُ[4]

وقَعْنَ، أُصْلاً وعُجْنا مِن نجائِبِنا

وقَدْ تُحِنَّ مِنْ ذي حاجَةٍ سَفَرُ

إلى امْرِىءٍ لا تُعَدِّينا نَوافِلُهُ

أظْفَرَهُ اللّهُ، فَلْيَهْنَا لَهُ الظَّفَرُ

الخائضِ الغَمْرَ وَالمَيْمُون طائِرُهُ

خَليفَةِ اللهِ يُسْتَسْقى بِهِ المَطَرُ

والهَمُّ بَعْدَ نَجيِّ النَّفْسِ يَبْعَثُهُ

بالحَزْمِ ، والأصمعانِ القَلْبُ والحَذِرُ[5]

والمُسْتَمِرُّ بِهِ أمْرُ الجَمِيعِ ، فَما

يَغْتَرُّهُ بَعْدَ تَوْكيدٍ لَهُ، غَرَرُ

---

(١) عين عانية: مصابة بكثرة دموعها.

(٢) منقضبون: مقطّعو الأوصال.

(٣) غضبة الوادي: سفحه.

(٤) القضيم: موضع.

(٥) الأصمعان: الذكيّان.

وما الفُراتُ إذا جاشَتْ حَوالِبُهُ
في حافَتَيْهِ وفي أوْساطِهِ العُشَرُ
وذَعْذَعَتْهُ رياحُ الصَّيْفِ واضطرَبتْ
فَوْقَ الجآجىء مِن آذيِّهِ غُدُرُ[1]
مُسْحَنْفِرٌ مِن جبالِ الرُّوم يسْتُرُهُ
مِنها أكافيفُ فيها دونَهُ زَوَرُ[2]
يوماً، بأجْوَدَ مِنْهُ، حينَ تَسْألُهُ
ولا بأجْهَرَ مِنْهُ، حينَ يُجْتَهرُ
ولمْ يزَلْ بكَ واشيهِمْ ومَكْرُهُمُ
حتى أشاطوا بغَيْبٍ لحمَ مَنْ يَسَرُوا[3]
فلَمْ يَكُنْ طاوِياً عنّا نَصِيحَتَهُ
وفي يدَيْهِ بدُنْيا دونَنا حَصَرُ
فَهْوَ فداءُ أميرِ المؤمنين، إذا
أبدَى النّواجِذَ يوْمٌ باسِلٌ ذَكَرُ
مُفْتَرِشٌ كافتراشِ اللّيْثِ كلْكَلَهُ
لِوَقْعَةٍ كائنٍ فيها لَهُ جَزَرُ[4]
مُقَدِّماً مائتَيْ ألْفٍ لمَنزِلِهِ
ما إنْ رأى مِثْلَهُمْ جنٌّ ولا بَشَرُ

---

(١) الجآجىء: جمع الجؤجؤ: الصدر. الآذي: الموج.
(٢) مسحنفر: سريع. أكافيف: جوانب الجبل. زور: ميل.
(٣) أشاطوا: ابتعدوا. يَسَروا: جزّأوا اللحم.
(٤) الكلكل: مقدم الصدر. الجزر: القتلى.

يَغْشَى القَناطِرَ يَبْنِيها ويَهْدِمُها
مُسَوَّمٌ، فوْقَهُ الرَّاياتُ والقَتَرُ[1]

حتّى يكونَ لَهُمْ بالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ
وبالثُّوَيَّةِ لَمْ يُنْبَضْ بها وَتَرُ[2]

وتَسْتَبِين لأقوامٍ ضَلالَتُهُمْ
ويَسْتَقيمُ الذي في خَدِّهِ صَعَرُ[3]

ثُمَّ اسْتَقَلَّ بأثْقالِ العِراقِ، وقَدْ
كانَتْ لَهُ نِقْمَةٌ فيهِمْ ومُدَّخَرُ

في نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيشٍ يَعْصِبون بها
ما إنْ يوازَى بأعْلى نَبْتِها الشَّجَرُ[4]

تَعْلو الهِضابَ، وحلّوا في أرُومَتِها
أهْلُ الرِّياء وأهْلُ الفخْرِ، إنْ فَخَروا[5]

حُشْدٌ على الحَقِّ عَيّافو الخَنى أُنُفٌ
إذا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْروهَةٌ، صبروا[6]

وإن تدجَّتْ على الآفاقِ مُظْلِمَةٌ
كانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْها ومُعْتَصَرُ

أعْطاهُمُ الله جَدّاً يُنْصَرُونَ بِهِ
لا جَدُّ إلاّ صَغيرٌ، بَعْدُ، مُحْتَقَرُ[7]

---

(١) يغشى: يبني. مسوّم: ذو علامات. قتر: غبار.
(٢) الطفّ: موضع قُتل فيه الحسين بن علي. الثوية: مكان قرب الكوفة.
(٣) الصعر: الميل.
(٤) النبعة: أصل الشجرة الطيبة.
(٥) أهل الرِّياء: أهل المعروف.
(٦) عيّافون: تاركون. الخنى: الفحش.
(٧) الجد: الحظ.

لَمْ يأشَروا فيهِ، إذْ كانوا مَواليَهُ
ولَوْ يكونُ لِقَوْمٍ غيرِهِمْ، أشِروا[1]
شُمْسُ العَداوةِ، حتى يُسْتَقادَ لَهُمْ
وأعْظَمُ النّاس أحلاماً، إذا قَدروا
لا يَسْتَقِلُّ ذوو الأضْغانِ حرْبَهُمُ
ولا يُبَيَّنُ في عيدانِهِمْ خَوَرُ[2]
هُمُ الذينَ يُبارونَ الرِّياحَ، إذا
قلَّ الطَّعامُ على العافينَ أوْ قَتَروا[3]
بني اميَّةَ، نُعماكُمْ مُجَلَّلَةٌ
تَمَّتْ فلا مِنَّةٌ فيها ولا كَدَرُ
بني أُميَّةَ، قدْ ناضَلْتُ دونَكُمُ
أبناءَ قوْمٍ، هُمُ آووا وهُمْ نَصَروا
أفحمتُ عنكُم بني النّجّار قد عَلِمَتْ
عُلْيا مَعَدّ، وكانوا طالما هَدَروا
حتى استكانوا: وهُم مني على مَضَضٍ
والقَوْلُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ
بَني أُميَّةَ، إنّي ناصِحٌ لَكُمُ
فَلا يَبيتَنَّ فيكُمْ آمناً زُفَرُ[4]
واتّخِذوهُ عَدُوّاً، إنَّ شاهِدَهُ
وما تَغَيَّبَ مِنْ أخْلاقِهِ دَعَرُ

---

(١) الأشر: البطر.

(٢) خور: ضعف.

(٣) العافون: طالبو المعروف.

(٤) زُفر: ابن الحارث زعيم قيس.

إنَّ الضَّغينةَ تَلْقاها، وإنْ قَدُمَتْ
كالعَرِّ، يَكْمُنُ حِيناً، ثمّ يَنْتَشِرُ[1]
وقَدْ نُصِرْتَ أميرَ المؤمنينَ بِنا
لمّا أتاكَ بِبَطْنِ الغُوطَةِ الخَبَرُ[2]
يُعرِّفونكَ رأسَ ابنِ الحُبابِ، وقدْ
أضْحى، وللسَّيْفِ في خَيشومِهِ أثَرُ[3]
لا يَسْمَعُ الصَّوْتَ مُسْتَكاً مسامِعُهُ
وليسَ يَنْطِقُ، حتّى يَنْطِقَ الحَجَرُ[4]
أمْسَتْ إلى جانبِ الحَشّاكِ جِيفَتُهُ
ورأسُهُ دونَهُ اليَحْمومُ والصُّوَرُ[5]
يسألُهُ الصُّبْرُ مِن غسّانَ، إذ حضروا
والحَزْنُ كيفَ قراكَ الغِلمةُ الجَشَرُ[6]
والحارثَ بنَ أبي عَوْفٍ لَعِبنَ بِهِ
حتّى تَعاوَرَهُ العِقْبانُ والسُّبَرُ[7]
وقيسُ عَيلانَ، حتى أقبلوا رَقَصاً
فبايعوكَ جِهاراً بَعْدما كَفروا

(١) العرّ: الجَرَب.
(٢) الغوطة: موضع قرب دمشق.
(٣) الخيشوم: رأس الأنف.
(٤) مستك: أصم.
(٥) الحشّاك واليحموم والصور: مواضع.
(٦) الصُّبر، الحَزن، الجَشر: من بطون غسّان.
(٧) السبر: طائر جارح.

فــلا هــدى الـلّهُ قَيــسـاً مِن ضَــلالـتـهِــمْ
ولا لَــعــاً لِــبَــنِي ذَكْــوانَ إذْ عَــثروا[١]
ضَـجُّــوا مـن الحــرب إذْ عـضَّـتْ غــوارِبَهـمْ
وقـيسُ عَيــلان مِـن أخــلاقِـهــا الـضَّـجَــرُ[٢]
كــانــوا ذَوي إمَّــةٍ حــتى إذا عَــلِقَــتْ
بِهــمْ حَــبــائِــلُ لــلشَّــيْــطانِ وابــتُــهِــروا
صُـكّــوا عــلى شــارِفٍ صَـعْــبٍ مَــراكـبُــهــا
حَــصَّــاءَ لَــيْسَ لهــا هُــلْبٌ ولا وبَــرُ[٣]
ولَمْ يَــزلْ بِــسُــلَيْــمٍ أمْــرُ جــاهِــلِهــا
حــتى تَــعــايــا بهــا الإيــرادُ والــصَّــدَرُ[٤]
إذْ يَــنْــظُرُونَ وهُــمْ يجْــنــون حَــنْــظَلَهُــمْ
إلى الــزَّوابي فــقُــلْنــا بُــعْــدَ مــا نَــظَروا[٥]
كَــرُّوا إلى حَــرَّتَــيْــهِــم يَــعْــمُــرونَهُا
كــما تــكُــرُّ إلى أوْطــانِها الــبَــقَــرُ
واصْــبــحَــتْ مِــنهُــمُ سِــنْــجــارُ خــالِــيَــةً
والْمــحْــلَبِــيّــاتُ فــالخــابــورُ فــالــسُّــرَرُ[٦]

---

(١) لعاً: دعاء للعاثر.
(٢) الغوارب: جمع غارب: أعلى الكتف.
(٣) صُكوا: نُكسوا. الشارف: الناقة الهرمة. حصّاء: لا وبر لها. الهلب: شعر الذيل.
(٤) إيراد وصدر: ذهاب وإياب.
(٥) الحنظل: نبات مر. الزوابي: مواطن تغلب.
(٦) سنجار، المحليبات، الخابور، والسرور: مواضع.

وما يُلاقونَ فَرَّاصاً إلى نَسَبٍ
حتى يُلاقيَ جَدْيَ الفَرْقَدِ القَمَرُ[1]
ولا الضِّبابَ إذا اخْضَرَّتْ عُيونُهُمُ
ولا عُصَيَّةَ إلاَّ أنَّهُمْ بَشَرُ
وما سَعى فيهِم ساعٍ لِيُدْرِكَنا
إلاَّ تَقاصَرَ عَنّا وهْوَ مُنْبَهِرُ
وقَدْ أصابَتْ كِلاباً، مِنْ عداوَتِنا
إحدى الدَّواهي التي تُخْشَى وتُنْتَظَرُ
وقَدْ تفاقَمَ أمْرٌ غَيرُ مُلْتَئِمٍ
ما بَيْنَنا رَحِمٌ فيهِ ولا عِذَرُ
أمّا كُلَيْبُ بنُ يَربوعٍ فلَيْسَ لهُمْ
عِنْدَ التَّفارُطِ إيرادٌ ولا صَدَرُ[2]
مُخَلَّفونَ، ويَقْضي النّاسُ أمْرَهُمُ
وهُمْ بِغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَرُوا
مُلَطَّمونَ بأعْقارِ الحِياضِ، فما
يَنْفَكُّ مِنْ دارميٍّ فيهِمِ أثَرُ[3]
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ
إذا جرى فيهِمِ المُزّاءُ والسُّكَرُ[4]
قَوْمٌ تَناهَتْ إليهِمْ كلُّ مُخْزِيَةٍ
وكُلُّ فاحِشَةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ

(١) فرّاص: علم. جدي الفرقد: كوكب.
(٢) التفارط: السباق إلى الماء.
(٣) ملطمون: منزوون. الدارمي: جدّ الفرزدق.
(٤) المزاء: الخمرة الخبيثة.

عـلى الـعِيـارات هَـدّاجـونَ قـدْ بَـلَغـتْ
نَـجْـران أوْ حُـدِّثـتْ سـوءاتِهِـمْ هَـجَـرُ[1]

الآكـلون خـبـيـثَ الـزَّادِ، وخـذهُـمُ
والـسّـائلون بـظَهْـرِ الـغَـيْـبِ مـا الخـبرُ

واذْكُـرْ غُـدانَـةَ وعِـدّانـاً مُـزَنَّمَـةً
مِـن الحَـبَـلَّقِ تُـبْـنى حـوْلها الـصِّـيَرُ[2]

تُمْـذي إذا سَـخَـنَـتْ في قُـبـلِ أذْرُعِـهـا
وتَـزْرَئِـمُّ إذا مـا بَـلَّهـا المـطَرُ[3]

ومـا غُـدانَـةُ في شيءٍ مـكـانَهُمُ
الحـابِسـو الشّـاءَ، حتّى يَفْـضُـلَ الـسّـؤُرُ[4]

يـتّـصِـلونَ بِـيَرْبـوع ورِفْـدُهُـمُ
عـنْـدَ الـتّرافُـدِ مـغْـمـورٌ ومُحْـتَـقَـرُ

صُـفْـر الـلّحـى مِـن وَقـودِ الأدِخـنـات إذا
رَدَّ الـرِّفـادَ وكَـفُّ الحـالـبِ الـقِـرَرُ[5]

ثـمَّ الإيـابُ إلى سـودٍ مُـدَنَّـسَـةٍ
مـا يَـسْـتَحـينَ إذا مـا احـتـكّت الـنُّـقَـرُ[6]

---

(١) العيارات: الحمير. نجران وهجر: موضعان.
(٢) غُدانه: ابن يربوع. عِدّان: المعزى مجدوعة الأنوف. المزنمة: تدلّى من تحت حلقها.
(٣) تمذي: تبول. تزرئم: تحبس
(٤) السؤر: بقية الماء في الحوض.
(٥) الأدخنات: عيدان تحدث ناراً. القِرر: البرد
(٦) النقر: جمع النقرة: الفرج.

واقْسَمَ المـجْـدُ حـقّـاً لا يُحـالِـفُـهـمْ
حـتى يُحـالـفَ بَـطْنَ الـرَّاحَـةِ الـشَّـعَـرُ[1]

وقال: في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء القيسيين
البحر الطويل

الا يـا اسْلمي يـا هِـنـدُ هِندَ بـني بَـدْرِ
وإنْ كـان حـيّـانـا عِـدى آخـرِ الـدَّهْـرِ
وإنْ كُـنـتِ قـد أقْـصَـدْتـني إذ رَمـيْـتِـني
بـسَهْـمِـكِ والـرَّامي يُصـيـبُ ومـا يـدري[2]
اسـيـلَةُ مجـرَى الـدَّمـعِ امّـا وشـاحُـهـا
فـجـارٍ وأمّـا الحِـجْـلُ مـنهـا فـما يجـري[3]
تمـوتُ وتحْـيـا بـالـضَّـجـيـعِ وتَـلْتـوي
بمُـطّرِد الْمَـتـمَـيْنِ مُـنْـتَـبِرِ الخَصْرِ[4]
وكُـنْـتُـمْ إذ تـنـأَون مِـنّـا تـعَـرَّضَـتْ
خـيـالاتُـكُـمْ اوْ بِـتُّ مـنْـكُـمْ عـلى ذُكْـرِ
لقَـدْ حمَلَتْ قَـيس بـن عَـيـلانَ حَـرْبَـنـا
عـلى يـابِسِ الـسِّـيسـاء محُـدَوْدَبِ الـظَّـهـرِ
وقَـدْ سرّني مِـن قَـيْسِ عَـيْـلان أنّـني
رأيـتُ بـني الـعَـجْـلانِ سـادوا بـني بـدْرِ

(١) الراحة: الكف.
(٢) اقصد: ابعد.
(٣) أسيلة: ناعمة.
(٤) منتبر: ضعيف.

وقَـدْ غَـبَرَ الـعَـجْـلانُ حِـيـنـاً إذا بـكـى
عـلى الـزَّادِ الـقَـتْـهُ الـولـيـدَةُ في الـكَسْرِ[1]
فـيُصبـحُ كـالخُفّـاشِ، يَـدْلُـكُ عَـيْـنَـهُ
فـقُـبِّـحَ مِـن وَجْـهٍ لئيـم، ومَـنْ حَـجْـرِ[2]
وكُـنْـتُـمْ بَـنِي الـعَـجْـلانِ الأمَ عِـنْـدَنـا
وأحْـقَـرَ مِـن أنْ تـشْـهَـدوا عـاليَ الأمْـرِ
بَـني كُـلِّ دَسْـماءِ الـثّـيـابِ، كـأنّما
طـلاهـا بـنـو العَـجْـلانِ مِن حُمَم القِـدرِ[3]
تـرى كـعْـبَـهـا قـد زالَ مِن طـول رَعيِـهـا
وَقـاحَ الـذُّنـابى بـالـسـويّـةِ والـزُّفْـرِ[4]
وإن نـزَلَ الأقْـوامُ مَـنْـزِلَ عِـفّـةٍ
نـزلـتُـمْ بَـني الـعَـجْـلانِ مـنـزلـةَ الخُسْرِ

وقال من قصيدة يمدح فيها عباد بن زياد بن أبيه:

كـريـم مُـنـاخ الـضَـيْـفِ، لا عـاتِـم الـقِـرى
ولا عِـنْـد أطْـرافِ الـقَـنـا بهَـيـوبِ[5]
كـثـيرٌ بـكـفّـيـه الـنّـدى، حـينَ يُـعْـترى
عـشِـيّـةَ، لا جـافٍ ولا بـغَـضُـوبِ[6]

---

(١) الكسر: جانب الدار.
(٢) الحجر: محجر العين.
(٣) دسماء الثياب: ثياب عليها دسم. حمم القدر: سواد على القدر.
(٤) قاح الذنابى: اتسخ عجزها. الزفر: الحمر.
(٥) المناخ: مكان بروك الإبل. هيوب: خائفة.
(٦) يُعترى: يُزار.

غَـروفُ لحـقّ الـسّـائـلينَ، كـأنّـهُ
لـعَـقْـرِ المـتـالي طـالِـبٌ بـذُنـوبِ[1]
تـرى مُـتـرَعَ الـشِّـيـزى يَـزينُ فُـروعَـهـا
عـبـائِطُ مِـثْـلافِ الـيـدَيْـن خـصـيـبِ[2]
كـأنَّ سِـبـاعَ الـغِـيـلِ والـطّيْرَ تَـعْـتـفـي
مـلاحِـمَ نـقّـاضِ الـتِّراتِ، طَـلوبِ[3]

وقال في هجاء ابني وائل:
البحر الوافر

غـدا ابْـنـا وائِـلٍ لـيُـعـاتِـبـاني
وبَـيْـنَـهُـما أجَـلُّ مِـنَ الـعِـتـابِ
امـورٌ، لا يُـنـامُ عـلى قَـذاهـا
تُـغِـصُّ ذوي الحـفـيـظَةِ بـالشرابِ[4]
تـرقّـوْا في الـنّـخـيـلِ، وأنْـسِـئـونـا
دِمـاءَ سَراتِـكُـمْ يـوْمَ الـكُـلابِ[5]
فـبِئْسَ الـطّالـبـون، غـداةَ شـالَـتْ
عـلى الـقُـعُـداتِ أسْـتـاهُ الـربـابِ[6]

---

(١) المتالي: النوق العشار.
(٢) شيزى: شجر تصنع منه الأوعية للطعام. خصيب: كريم.
(٣) الغيل: الغيضة. الترة: الثأر.
(٤) الحفيظة: الحمية. والقذى: ما يسقط بالعين.
(٥) السراة: جمع السري: السيد.
(٦) شالت: ارتفعت. القعدات: الدواب.

تجولُ بَناتُ حَلاَّبٍ عليهِمْ
وتَزْجَرُهُنَّ بَيْنَ هلٍ وهابِ[1]
وعَبْدُ القيسِ مُصْفَرٌّ لحاها
كأنَّ فُساءَها قِطَعُ الضَّبابِ
إذا سَطَعَ الغُبارُ خرجن منهُ
بأسود مثل خافية العقابِ
فما قادوا الجيادَ ولا افتلوها
ولا ركبوا مُخَيَّسَةَ الرِّكابِ
على أثَرِ الحمير موكَفيها
جنائِبُهُم حوالِيُ الكِلابِ[2]
أبا غسّانَ، إنّكَ لَمْ تُهِنّي
ولكِنْ قدْ أهَنْتَ بَني شِهابِ
أتيتُكَ سائلاً، فحَرَمْتَ سُؤلي
وما أعْطَيْتَني غيرَ التّرابِ
إذا ما اخترْتُ بَعْدَكَ جَحْدرِيّاً
على قَيْسٍ، فلا آبَتْ ركابي

وقال:

البحر الطويل

لُجَيْمُ بنُ صَعْبٍ، لَمْ تَنَلْها عداوتي
وما نَبَحَتْ آلَ الخَصِيبِ كلابي

---

(١) حلاّب: فحل كريم تنسب إليه خيل تغلب.

(٢) فرس موكف: عليها البردعة. الجنائب: الخيل الكريمة.

أولئِكَ قَوْمٌ يَرْفَعونَ مَحَلَّهُم
إلى فَجَواتٍ أشْرَفَتْ وَرَوابي[1]
ولكنّما هاجَ الذي بَيْنَنا
سَدوسُ، وما عِيدانُها بِصِلابِ[2]
بَنو كلِّ مِتْفالٍ، كأنَّ جَبينَها
إذا زَحَلَتْ عَنْهُ، جَبينُ غُرابِ

وقال: في مدح عبد الله بن سعيد بن العاص
البحر الوافر

ألَمْ تَعْرِضْ، فتسألَ آلَ لَهْوٍ
وأرْوى، والْمُدِلَّةَ، والرَّبابا[3]
بأيّامٍ خَوالٍ صالحاتٍ
ولذّاتٍ تُذكِّرُني الشَّبابا
نزَلْتُ بِهِنَّ فاسْتَذْكَيْتُ ناراً
قليلاً، ثمَّ أسْرَعْنَ الذَّهابا
وكُنَّ إذا بَدَوْنَ بِقُبْلِ صَيْفٍ
ضَرَبْنَ بجانبِ الْخَفْرِ القِبابا
نواعِمُ لَمْ يَقِظْنَ بِجُدِّ مُقْلٍ
ولَمْ يَقْذِفْنَ عن حَفَصٍ غُرابا[4]

---

(١) الروابي: المرتفعات.
(٢) سدوس: قبيلة عربية.
(٣) لهو، أروى، مدلة، رباب: أسماء نساء.
(٤) يقظن: يقمن صيفاً. جُد: بئر. حفص: بعير يحمل المتاع.

كـأنَّ الـرِّيطَ فَـوْقَ ظـبـاء فَـلْجٍ
غَـداةَ لـبِـسْـنَ، لـلبَـيْنِ، الـثّـيـابـا
فـفـارَقْـنَ الخـليطَ عـلى سَـفـينٍ
يَـشُـقُّ بهـنَّ أمْـواجـاً صِـعـابـا [1]
تـرى المـلاّحَ مُحْـتَـجِـزاً بِـليـفٍ
يـؤمُّ بهـنَّ آجـامـاً وغـابـا
إذا الـتُّـبّـانُ قـلّص عَـنْ مُـشـيـحٍ
صَـدفْـن، ولم يُـرِدْن لـهُ عِـتـابـا [2]
يـعجُّ المـاءُ تَحْـتَ مُـسَـخَّـراتٍ
يَـصُـكُّ الـقـارَ والخَـشَـبَ الـصِّلابـا
يَـعُـمْـنَ عـلى كـلاكِـلِهِـنَّ فـيـهِ
ولَـوْ يُـزْجـى إلـيـهِ الـفـيـلُ، هـابـا [3]
إذا مـا اضْـطَرَّهُـنَّ إلى مَـضـيـقٍ
ومَـوْجُ المـاء يَـطْرِدُ الحَـبـابـا
تَـتـابُـعَ صِرْمـةِ الـوَحـديّ تـأوي
لأولاهـا، إذا الـرّاعـي أهـابـا
دَجَـن بـحَـيْـثُ تَـنْـتَـسِـغُ المـطايـا
فـلا بَـقّـاً يَخَـفْـنَ ولا ذُبـابـا [4]
إذا ألـقَـوْا مـراسِـيَـهُـنَّ، حَـلُّوا
دَبـيـبَ الـسَّـبـي، يـبـتـدرُ الـنُّـقـابـا

(١) الخليط: القوم.
(٢) التبّان: سروال قصير. صدفن: عدلن.
(٣) كلاكل: جمع كلكل: مقدم الصدر.
(٤) تنتسغ: تتفرّق.

تَـفَـرَّج مـائـحُ الـسُّـبَـحـاءِ عَـنْـهـا
إذا نَـزَحَـتْ، وقـدْ لـذَّ الشَّرابـا
لـيـاليَ وافـتِ الـصُّـبْـحَ الـثُّـرَيّـا
واحْمَـتْ كُـلُّ هـاجِـرَةٍ شِـهـابـا[1]
أفـاطِـمَ اعْـرِضي قَـبْـلَ الْمـنـايـا
كَـفـى بـالمـوْتِ هَـجْـراً واجـتـنـابـا
بَـرِقْـتِ بـعـارِضَـيْـكِ ولَمْ تجـودي
ولَمْ يـكُ ذاكَ مِـنْ نُـعـمـى ثـوابـا
كـذلـكَ أَخْـلَفَـتْـنـا أُمُّ بِشْرٍ
عـلى أن قـد حَـلَتْ غُـرّاً عِـذابـا[2]
شَـتـيـتـاً يَـرْتَـوي الـظَّـمـآنُ مِـنْـهُ
إذا الجـوزاءُ أجـحَـرَتِ الـضِّـبـابـا[3]
وقَـدْ قـالَـتْ مُـدِلَّـةٌ، إذْ قَـلَـتْـني
أراكَ، كـبِـرْتَ، والـصُّـدغَـيـنِ شـابـا[4]
فـإنْ يـكُ ريِّـقـي قـد بـانَ مـنّي
فـقَـدْ أُروي بـهِ الـرُّسُـلَ الـلُّهـابـا[5]
وكُـنَّ إذا وَرَدْنَ لِـتَـمِّ ظِـمْءٍ
عَـبَـأْتُ لِـكُـلِّ حـائِـمَـةٍ ذِنـابـا[6]

---

(١) وافت: أدركت. الهاجرة: شدة الحر.
(٢) الغر: الأسنان البيضاء.
(٣) الجوزاء: أشد أيام الحر.
(٤) قَلَت: أبغضت.
(٥) الرسل: جماعة النساء. اللهاب: العطاش.
(٦) الحائمة: الظمأى. ذِناب: دلو.

أذودُ اللُّخْلَخانِيّاتِ عَنْهُ
وأمْنِحُهُ المُصَرْحَةَ العِرابا

وحائمتانِ تَبْتغِيان سِرّي
جعَلْتُ القَلْبَ دونَهُما حِجابا

وصاحبُ صَبْوةٍ صاحَبْتُ حيناً
فتُبتُ، اليومَ، من جَهْلٍ، وتابا[1]

ونَفْسُ المرْء تَرْصُدُها المَنايا
وتُحْذَرُ حَوْلَهُ حتى يُصابا

إذا أمرَتْ بِهِ ألْقَتْ عَلَيْهِ
أحَدُ سِلاحِها ظُفْراً ونابا

واعْلَمُ أنّني عمّا قليل
ستَكْسوني جَنادِلَ أوْ تُرابا[2]

فمَنْ يكُ سائلاً بِبَني سعيدٍ
فعَبْدُ اللهِ أكرمُهُمْ نِصابا

تذرَّيْتَ الذَّوائبَ من قُريْش
وإنْ شُعبوا تَفرَّعْتَ الشِّعابا

بحورُ بَني أُمَيَّةَ، أوْرَثوهُ
حمالاتٍ وأخلاقاً رِغابا[3]

وتَجْمعُ نَوْفلاً وبني عِكَبٍّ
كلا الحَيَّيْنِ، أفْلحَ مَنْ أصابا

---

(١) الصبوة: العشق.
(٢) جنادل: جمع جندل: صخرة.
(٣) حمالات: غرامات القتل. الرغاب: الواسعة.

وَمِنَّا قَدْ نَمَتْكَ عُروقُ صِدْقٍ
إذا الجَحِراتُ أغوَيْنَ الكِلابا[1]

مِن الفِتْيانِ، لا بَهِجٌ بِدُنْيا
ولا جَزِعٌ، إذا الحدثانُ نابا

أغرُّ مِنَ الأباطِحِ مِنْ قُرَيْشٍ
بِهِ تَسْتَمْطِرُ العَرَبُ السَّحابا

وقال:

البحر الطويل

حبيبُ بن عتابٍ أرى الأمرَ دونَهُ
ولا ورعٌ إن القِناعَ بِجُنْدُبِ

فإنْ تَرْبَعوا تَرْبَعْ فوارسُ مُغْرِضٍ
وإن تركبوا إحدى الغواية تركبِ

وقال:

البحر الطويل

ألا بانَ بالرَّهْنِ الغَداةَ الحبائبُ
فأنت تَكُفُّ الدمعَ والدمعُ غالبُ

رأيتُ أبا النجّارِ حادَرَ إبلَهُ
وألهى كثيراً أعنزٌ ورَكائِبُ

وقال:

البحر الوافر

تُعيّرُني شراب الشيخ كِسرى
ويَشْرَبُ قومُكَ العَجَبَ العجيبا

---

(١) جحرات: سنوات عجاف.

لهوٌ وغزل

البحر الطويل

وبـالجِـزْعِ مِـن خَفّـانَ صـاحبْتُ عُـصْـبَـةً
مُـصَـحَّـحـةَ الأجـسـادِ، مَـرْضى عـيـونُها[1]
فـإنْ يـكُ قـد بـانَ الـصِّـبـى أمُّ مـالـكٍ
فـقَـدْ تـعْـتـريـني الهِـيـفُ مـيـلٌ قُـرونُها[2]
ولَـيْـلٍ كـسـاجِ الـطَّيْـلـسـانِ، هـوْتُـهُ
بمُـرْتَجّـةٍ هِـيـفٍ، خِمـاصٍ بُـطـونُها[3]
إذا احـتَـثَّـهـا الـرُّكْـبـانُ، كـان الـذُهـا
الى ذي الـصِّـبـى، ذو ضِـغْـنـهـا وحَـزْونُها
إذا مَـعَـكَ الـدِّيـنَ الـغـريـمُ، فـإنّها
عَـلى كـلِّ أحْـيـانٍ تحُـلُّ دُيـونُها[4]

في هجاء جرير وقومه

البحر الكامل

اجـريـرُ إنّـك والـذي تَـسْـمـو لَـهُ
كـأسـيـفَـةٍ فَـخَـرتْ بِـحِـدْجِ حَـصـانِ[5]
حمَـلَتْ لـربّـتـهـا، فـلمّا عُـولـيَـتْ
نَـسَـلَتْ تُـعـارِضُـهـا مـع الأظْـعـانِ

---

(١) خفان: بلدة قرب الكوفة.

(٢) الهيف: جمع الهيفاء: الضا[illegible]ة. القرون: ضفائر الشعر.

(٣) الطيلسان: الثوب الأسود. خماص البطون: ضامرات.

(٤) معك: أبطأ.

(٥) أسيفة: جارية.

أتَعُدُّ مأثُرةً لغَيْرِكَ ذِكْرُها
وسَناؤها في غابِرِ الأزْمانِ
في دارِمٍ تاجُ المُلوكِ وصِهْرُها
أيّامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعْيانِ[1]
مُتلَفِّفٌ في بُرْدةٍ حَبَقِيَّةٍ
بِفِناء بَيْتِ مَذلَّةٍ وهوانِ[2]
يَغْدو بنيهِ بشَلّةٍ مَذمومَةٍ
ويكونُ أكبر همّه رِبْقانِ[3]
سَبَقوا اباك بكُلِّ مَجْمَعِ تَلْعَةٍ
بالمَجْدِ، عِند مَواقِفِ الرُّكبانِ
فإذا رأيْتَ مُجاشِعاً قَدْ أقْبَلَتْ
فاهْرُبْ إلَيْكَ مخافَةَ الظُّرّانِ[4]
وإذا وردْتَ الماءَ، كان لدارِمٍ
عِفَواتُهُ وسُهولَتُهُ الأعْطانِ[5]
فاخسأ إلَيْكَ كُلَيْبُ، إنَّ مجاشِعاً
وأبا الفوارِسِ نَهْشَلاً أخَوانِ
قومٌ، إذا خطَرتْ عَلَيْكَ فحولُهُمْ
جَعَلُوكَ بَيْنَ كلاكِلٍ وجِرانِ[6]

---

(١) دارم: قوم الفرزدق. يربوع: قوم جرير.
(٢) بُردة حبقية: ثوب بالٍ.
(٣) ربقان: حبل يُشد في عنق البعير.
(٤) مجاشع: جدّ الفرزدق.
(٥) العفوات: الصفاء. الأعطان: مبارك الإبل.
(٦) كلاكل: جمع كلكل: مقدم الصدر. جران: صفحة العنق.

وإذا وضعتَ أباك في ميزانِهِمْ
رجَحوا، وشال أبوك في الميزان[1]
ولقَدْ تجاريتُمْ على أحسابِكُمْ
وبَعَثْتُمُ حَكَماً مِن السّلْطانِ[2]
فإذا كُلَيْبٌ لا تُوازِنُ دارِماً
حتى يوازنَ حَزْرَمٌ بأبانِ[3]

نقض العهود

فخر

البحر المتقارب

ما زالَ ألْسِنَةٌ ناطِقينَا
وَأحْداثُ ما يُحْدِثُ ألْمجْرِمُونا
ونَقْضُ العُهُودِ بإثْرِ العُهُودِ
تَؤزُّ الكَتائِبَ حَتّى حَمِينا[4]
فَكَأيِّنْ تَرَى مِنْ ذُكُورِ السُّيُوفِ
تَطِيرُ قَمَحْدُوَةً والجَبِينا[5]

---

(١) شال: ارتفع.

(٢) السلطان: الحاكم وأراد نفسه عندما حكم بين جرير والفرزدق.

(٣) حرزم وأبان: جبلان.

(٤) تؤز: تهز.

(٥) قمحدوة: أعلى العنق.

وقال في هجاء النّابغة الجعدي:

البحر الوافر

لَـقَـدْ جـارى أبـو لَـيْـلى بِـقَـحْـمٍ
وَمُـنْـتَـكِـثٍ عـلى الـتَّـقْـريـبِ، وانِ[1]

إذا هـبَطَ الْخَـبـارَ، كـبـا لِـفِـيـهِ
وخَـرَّ عـلى الجَـحـافِـلِ والجِـرانِ[2]

يُـبَـصْـبِـصُ، والـقَـنـا زُورٌ إلـيـهِ
وقَـدْ اعْـذَرْنَ في وَضَـحِ الـعِـجـانِ[3]

يُخَـوِّفُـني أبـو لَـيْـلى، ودوني
بـنـو الـغَـمَـراتِ والْحَـرْبِ الـعَـوانِ

سـتَـقْـذِفُ وائِـلٌ حـوْلي، جمـيـعـاً
وتَـطْـعُـنُ إنْ أُشـيـتُ إلى الـطِّـعـانِ[4]

ومـا أنـا، إنْ أَرَدْتُ هـجـاءَ قـيسٍ
بِـمَخـذولٍ، ولا خـاشي الجَـنـانِ

أهُـمُّ بِـشَـتْـمِـهِـمْ، ويَـكُـفُّ حِـلمـي
عَـوارِمَ يَـعْـتَـلِجْـنَ عـلى لِـسـاني[5]

خـنـافِسُ أَدْلَجَـتْ لِمـبـيـتِ سـوءٍ
ورِثْـنَ فِـراشَ زانِـيَـةٍ وزانِ[6]

---

(١) أبو ليلى: كنية النابغة الجعدي.

(٢) الخبار: الأرض كثيرة الحفر.

(٣) العجان: الأست.

(٤) أشيت: قصدت.

(٥) عوارم: جمع عارمة: قصيدة هجاء.

(٦) أدلجت: سارت ليلاً.

وما أمٌّ، رَبَوْتَ على يديْها
بطاهِرَةِ الثّيابِ ولا حَصانِ[1]

كأنَّ عِجانَها لَحْيا جزورٍ
تحسّرَ عنهُما وَضَرُ الجرانِ[2]

ولو أنّي بسَطْتُ عليكَ شتْمي
وجَدُّكَ ما مَسَحْتكَ بالدّهانِ

فلا تَنْزِلْ بجَعْديٍّ، إذا ما
تردّى المُكْرَعاتُ من الدُّخانِ[3]

فإنّك غيرُ واجِدِهِ خشوداً
ولا مُسْتَنْكِراً دارَ الهوانِ

يَبيتُ على فَراسِنَ مُعْجَلاتٍ
خبيثاتِ المغَبّةِ والعُثانِ[4]

وشِلْوٍ تُمَزّقُ الأغراسُ عَنْهُ
إذا لَمْ يَصْلَهُ لهبُ الأفانِ[5]

وما تَنْفَكُّ حَنْكَلَةٌ زَموعٌ
تُواعِدُهُ إلى آذى مكانِ[6]

أزَبُّ الحاجبيْنِ بعَوفِ سَوْءٍ
مِنَ الحيِّ الذين على قنانِ[7]

---

(١) حَصان: امرأة عفيفة.
(٢) العِجان: الأست. جزور: ناقة للذبح. وَضر: وسخ الدسم.
(٣) مكرعات: إبل مسودّة أعناقها.
(٤) فراسن: حوافر البعير. العُثان: الدخان.
(٥) الشلو: ولد الناقة.
(٦) الحنكلة: الدميمة من النساء. زموع: سريعة.
(٧) أزبّ الحاجبين: كثيفهما.

قُـبـيِّـلَةٌ يَـرَوْنَ الـغَـدْرَ مَجْـداً
ولا يَـدْرونَ مـا نَـقْـلُ الجِـفـانِ

وقال يهجو:

البحر الوافر

ألا يـا لَـيْـتَ كـلْـبـاً بـادلـونـا
بِمَـوْلاهـا، فـكـانَ لَـنـا الـصَّـمـيـمُ[1]
فـبـادَلْـنـا بـزَيْـدِ الـلاتِ عَـوْضـاً
كـلا الـبـدَلـين مُـقْـتَـرِفٌ بـهـيـمُ
وطـابـخَـةُ الـتي لا عِـزٌ فـيـهـا
تجـيرُ بـهِ ولا حَـسَـبٌ كـريمُ[2]
[لَـعَـمْـرُكَ إنَّـني وابـني جُـعَـيْـل
وأمُّـهُـما لإسـتـارٌ لئـيـم][3]
فـما تـدْري، إذا مـا الـنّـاسُ سـاروا
أتَـظْـعَـنُ بَـعْـدَ ذلـك أمْ تُـقـيـمُ
يَـظَلُّ بَـنـو الـنَّـعـامَـةِ حـابِـسـيـهِـمْ
إذا وردوا، وَوِرْدُهُـمْ ذَمـيـمُ

البحر الطويل

شـعَـبـتُ شؤونَ الـراس بـعْـدَ انـفـراجِـه
بـصَـهْـبـاءَ صِـرفٍ مـن طـلـيِّـة رستـمِ[4]

---

(١) صميم: حر.
(٢) طابخة: قوم من العرب.
(٣) إستار: كلمة غير عربية معناها أربعة.
(٤) شعبت: جمعت. صهباء: خمرة متغير لونها. رستم: اسم.

فخر

البحر الطويل

وإنّـا لحـبّـاسـون عـكّـافـةً بِـنـا
لـنَـنْـظُر مـا يـقضي إلـيـهـا الأراقِـمُ[1]

إذا مـا قَـسَـمْـنـا سَـبْـيَ قَـوْمٍ ومـالَهـمْ
دعـانـا لـقَـوْمٍ آخَـريـنَ مُـزاحِـمُ

مدح

البحر الكامل

زَعَـمـوا ولَمْ أكُ شـاهِـداً لِمـقـامَـةٍ
أنَّ الخَـطـيـبَ لَـدى الإمـامِ الهَـيْـثَـمُ

صَـدَرَتْ وُفُـودُ الـنّـاسِ عـنْ كَـلمـاتِـه
بـالـشّـامِ إذْ خَـرَجَ الإمـامُ الأعْـظَمُ

في هجاء بني بكر وشيبان وتيم اللات

البحر الطويل

أيـوعـدُني بَـكْـرٌ ويَـنْـفُضُ عُـرْفَـهُ
فـقُـلْتُ لـبَـكْـرٍ: إنّمـا أنْـتَ حـالِمُ

سَـتَـمْـنَـعُـني مِـنْـكُـمْ رمـاحٌ ثَـرِيّـةٌ
وغَـلْصَـمَـةٌ تَـزْوَرُّ عَـنْـهـا الـغَـلاصِـمُ[2]

فـما لـبَـني شَـيْـبـانَ عِـنـدي ظُـلامَـةٌ
ولا بِـدم تَـسْـعـى عـليَّ الحَـنـاتِـمُ[3]

---

(١) عكافة: اسم امرأة. الأراقم: التغلبيون.

(٢) ثرية: كثيرة. الغلصمة: الجماعة.

(٣) الحناتم: جمع الحنتم: الجرة.

غِـضـابٌ كـأنّي في بـيـاضِ أكـفِّـهِـمْ
الا رُبّـمـا لَمْ تَـسْـتَـطِعْـني الـلّهـازِمُ[1]

ونُـبِّـيـتُ تَـيْـمَ الـلاتِ تَـنْـذُرُ مُـهْـجَـتي
وفـيـهـا هِـلالٌ طـالِـعٌ ومُـزاحِـمُ[2]

لـنـا حُمَـةٌ مـن يختـلس بَـعْـضَ سـمِّـهـا
مِـنَ الـنـاسِ يَـعْـفِـرْ كـفُّـهُ وهـو نـادِمُ[3]

ويَـعْـتـرِفُ الـبَـكْـريُّ مـا دامـتِ الـعـصـا
لـذي العِـزِّ والبَـكْـريُّ مـا اسـطاعَ ظـالِمُ

تـدارَكَ مَـفْـرُوقـاً بَـنـو عَـمِّ أُمِّـهِ
وقَـدْ حَـجَـنَـتْـهُ والهِـجـانُ الأراقِـمُ[4]

في هجاء شيبان

البحر الطويل

أفي كـلِّ عـامٍ لا يـزالُ لـعـامِـرٍ
عـلى الـفِـزْرِ نَهْبٌ مِـنْ أروشٍ مُـزَنَّمُ[5]

لَـعَـمْـرُكَ مـا أدري وإنّي لـسـائِـلٌ
أمُـرَّةُ أمْ أعـمـامُ مُـرَّةَ اظْـلَـمُ[6]

---

(١) اللهازم: جمع اللهزم: السيد.

(٢) هلال ومزاحم: من بطون العرب.

(٣) الحُمَة: مكان السم في الأفعى وغيرها. يعفر كفه: يهوي على الأرض.

(٤) المفروق: أحد بني شيبان أسره التغلبيون وأطلقوه. الهجان: الإبل الكريمة.

(٥) الفزر: قوم من شيبان. الأروش: غرامة تدفع عن الجراح. مزنم: بعير شُقَّت أذنه.

(٦) مرّة: ابن ذهل بن شيبان.

فَما لـلسّمين لا يَـقومُ خَـطيبُها
وما لابنِ ذي الجَدْيـنِ لا يـتَـكـلَّمُ[1]
بِشَنْعاءَ بـينَ الأصْـلِ لا يسْتـطيعُها
إذا القَومُ هـابوهـا السَّـخيفُ المُزنَّمُ
عـلى حـين لا يَـدْري أما قـدْ مَضى لها
مِن اللّيـلِ أمْ مستـأخـرُ اللّيـلِ أعـظَمُ
ومـا كـانتِ الجَبّاءُ فـيـنـا مَـرَبّـةً
ولا ثَـمَـدُ الـغَـوْرَيـنِ ذاكَ المُـقـدَّمُ[2]

في هجاء سُويد بن منجوف السدوسي
لأنه طلب منه أمراً ولم يُجبهُ.

البحر الطويل

مـا جـذْعُ سَـوْءٍ خَـرَّبَ السّـوسُ أصْـلَهُ
لـمـا حَـمّلْتَـهُ وائـلٌ بمُـطيـقِ
تُـطيـفُ سَـدوسٌ حـوْلَـهُ، وكـأنّها
عِصيٌّ أشـاءٍ، لُـوّحَـتْ بـحَـريـقِ
جَمادُ الـصّـفـا مـا إنْ يَـبِضْ بـقَـطْرةٍ
ولَـوْ كـانَ ذا زرّاعَـةٍ ورَقـيـقِ[3]
فـإن نَـعْـفُ عَـنْ حُمـران بكـرِ بـن وائـلِ
فـما إنْ لَـنـا سُـوادُهُمْ بـصَـديـقِ[4]

---

(١) السمين: من أحفاد مرّة.
(٢) الجباء: قلعة باليمن. مربة: مكان للعبادة. ثمد الغورين: موضع.
(٣) الصفاة: الصخرة. يبض: يقطر.
(٤) حمران: أراد الشقر.

أيا راكباً

نظم الأخطل هذه الأبيات متفاخراً بأصالته في العرب وبدفاعه عن الدّارميين وبتنكيله ببني كليب، وبإطفائه لنار الجعديّين، قوم النّابغة الجعدي، وبوفائه لعهد الفرزدق:

البحر الطويل

أيـا راكِـبـاً إمّـا عَـرَضـتَ فـبـلّغَـنْ
بُـنـانَـةَ بـالحِـصْـنـين وابْـنَ المُـحـلّق[1]
وعـمِـرانَ أنْ أدّوا الـذي قَـدْ وأيـتُـمُ
وأعـراضُـكُـمْ مـوْفـورَةٌ لمْ تُمَـزَّقِ
ألمْ تَـعْـلمـوا يـا قـوْمُ أنّي وراكُـمُ
فـما يُـرْتـقى حِصْـني إلَـيْـكُـمْ وخَـنْـدقـي
ومـا أنـا إنْ عَـدَّتْ مَـعَـدٌّ قـديمَـهـا
بمَـنْـزِلَـةِ المَـولى ولا المُـتَـعَـلِّق[2]
لـعَـمْـري لـقَـدْ أبـلَيْتُ في الشّـعْـرِ دارمـاً
بـلاءً نمَـى في كـلِّ غَـرْبٍ ومـشـرقِ
بـلاءَ امـرىءٍ لا مُـسْـتَـثـيـبٍ بِـنـعْـمَـةٍ
فـتُـشْـكَـرَ نُـعْـمـاهُ ولا مُـتَـمَـلِّقِ
هـجَـوْتُ كُـلَيْـبـاً أنْ هـجـوا آلَ دارِمٍ
وأمْـسَـكْـتُ مِـن يَـرْبـوعِـهِـمْ بـالمـخـنَّـقِ[3]

---

(١) بنانة: امرأة سعد بن لؤي. الحصنان: موضع بالموصل.
(٢) معد: قبيلة عربية.
(٣) دارم: قبيلة الفرزدق. يربوع قبيلة جرير.

ورَهْطَ أبي لَـيْـلى فـاطـفـاتُ نـارَهُـمْ
وأقــرَرْتُ عَـيْــني مِــنْ جِـداء الْحَبَـلَّقِ[1]
فـإنْ يـكُ أقــوامٌ أضــاعـوا، فـإنَّــني
حـفِـظْتُ الـذي بَـيْــني وبـينَ الـفـرَزْدَقِ

قال يهجو قوم جرير:
البحر البسيط

أمّــا كُـلَيْـبُ بـنُ يَـرْبـوعٍ، فـإنَّهُمُ
شرُّ الـرِّفـاقِ، إذا مـا حُـصِّـلَ الـرُّفَـقُ[2]
سـودُ الـوجـوهِ، وراء الـقَـوْمِ مجْـلِسُـهُـمْ
كـأنَّ قـائِـلَهُــمْ في الـنّــاسِ مُـسـتـرِقُ
الـبـائـتـونَ، قـريـبـاً، دونَ أهْـلِهِـم
ولَــوْ يـشـاؤُون آبـوا الحَـيَّ، أوْ طـرَقـوا

في هجاء جرير وقومه ومدح الفرزدق وقومه:
البحر الطويل

مـا لَـكَ عِـزُّ الـتَّـغْـلبـيّ الـذي بَـنى
لَـهُ الله في شُـمِّ الجِـبَـالِ الْحَـوارِكِ[3]
ومـا لـكَ مـا يَـبْـني لُجَـيْـمٌ، إذا ابـتَـنى
عَـلى عَـمَـدٍ فيـهـا طِـوالِ الْمَـسـامِـكِ[4]

(١) أبو ليل: كنية النابغة الجعدي. جداء الحبلّق: صغار الماعز. وأراد بني سليم.
(٢) كليب بن يربوع: قوم جرير.
(٣) جبال حوارك: عالية.
(٤) لجيم: ابن صعب التغلبي. المسامك: الأعمدة.

ولا التَّغلبيّين الذينَ رماحُهُمْ
معاقلُ عُوذاتِ النِّساء الرَّواتِكِ [1]
وما غَرَّ كلباً مِن كُلَيْب بحيَّةٍ
أصَمَّ، على أنيابِهِ السُّمُّ شابِكِ [2]
وبَيْتِ صَفَاةٍ في لِهَابٍ، لُعابُهُ
سِمامُ المَنايا، أسْودِ اللَّوْنِ حالِكِ
تَرى ما يمسُّ الأرضَ مِنْهُ، إذا مشى
صُدوعاً نَفَتْ عَنْها مُتونَ الدَّكادِكِ [3]
بَني الخَطفَى عُدُّوا شَبيهاً لدارِمٍ
وعَمَّيْهِ، أوْ عُدُّوا أباً مِثْلَ مالِكِ [4]
وإلّا فَهِرُّوا دارِماً، إنَّ دارِماً
أناخَ بعاديٍّ عَريضِ المَبارِكِ [5]
مِنَ العِزِّ، لا يَسْتَطيعُهُ أنْ يَنالَهُ
قِصارُ الهوادي جاذِياتُ السَّنابِكِ [6]
فَلَسْتَ إليهِمْ، يا جريرُ، فلا تكُنْ
كمُسْتَقْتِلٍ اعْطى يداً للمَهالِكِ
تقاصَرْتَ عَن سَعْدٍ، فما أنتَ منهُم
ولا أنْتَ مِن ذاكَ العديدِ الضُّبارِكِ

(١) الرواتك: النساء الخائفات تركضن.
(٢) كلب شابك: طويل الأنياب.
(٣) الدكادك: جمع الدكدك: الأرض الغليظة.
(٤) الخطفي: والد جرير. مالك: جدّ الفرزدق.
(٥) هروا: نبحوا. عادي: نسبة إلى عاد.
(٦) الجاذي: القصير. السنابك: السيوف.

كُلَيْبٌ يُغالون الحميرَ ودارِمٌ
على العِيسِ ثانو الخَزِّ فَوْقَ ٱلْمَوارِكِ[1]
وكُنْتُمْ مَعَ السّاعي ٱلْمُضَلِّ بني اسْتِها
جَريرٍ، وسَلّاكينَ شَرَّ المسالكِ
ضفادعُ غَرَّتْها صَراةٌ فقَصَّرَتْ
مِنَ البَحْرِ عَنْ آذِيَّةِ ٱلْمُتَدارِكِ[2]

كم من رئيس

في هجاء بني كليب بن يربوع رهط جرير:
البحر الطويل

بَنو دارِمٍ عِنْدَ السَّماءِ، وأنتُمُ
قَذى الأرْضِ أبعدْ بَيْنَها بَينَ ذلكَ[3]
وقَدْ كان مِنهُمْ حاجبٌ وابنُ عمِّهِ
أبو جَنْدلٍ والزَّيْدُ زَيْدُ ٱلْمعارِكِ[4]
وكَم مِن رئيسٍ قَطَّرَتْهُ رِماحُهُمْ
بمُخْتَلِفٍ بَينَ الرِّمالِ الدَّكادِكِ[5]
وتَرْفِدُهُمْ أبناءُ حَنْظَلَةَ الذُّرى
حصىً يتحدَّى قِبْصُهُ كلَّ فاتِكِ

---

(١) يُغالون: يقتنون. العيس: الإبل. الموارك: حيث يضع الراكب رجله.
(٢) صراة: جدول. أذي: موج.
(٣) بنو دارم: قوم الفرزدق.
(٤) أبو جندل والزيد: علمان من بني دارم.
(٥) الدكادك: الأرض الغليظة.

وَلَوْلاهُمْ يا بنَ المَراغةِ، كُنْتُمْ
لَقاً بَينَ أطرافِ القَنا للسّنابِكِ[1]
همُ أنقذوا يومَ المُضَيْباتِ سَبْيَكُمْ
وأبناءُ رَهْطِ الكَلْبِ قُرْعُ المبارِكِ
فرَزْتُمْ جِذارَ التّغلبيّين، إذْ سَمَوا
بأرْعَنَ طَوْدٍ مُشْمَخِرٌ الحَوارِكِ[2]
وترى المُذكّي في القِيادِ كأنّهُ
مِنْ طولِ ما جَشِمَ الغِوارَ عَقيرُ[3]
هَرِيَتْ نِطافُ عُيونِهِنّ فأدْبَرتْ
فكأنّهُنّ مِنَ الضّرارَةِ عُورُ
وحَوِلْنَ مِن خَلَجِ الأعِنّةِ وانطوَتْ
مِنْها البُطونُ وفي الفُحولِ جُفُورُ[4]
قَطعَ الغُزاةُ عِجافَهُنّ فأصْبَحَتْ
حُرْدٌ صَلادِمُ قُرَّحٌ وذُكورُ[5]
ولقدْ علمتُ بلاءَهُ في معشرٍ
تغلي شناةُ صدورِهِمْ وثغورُ
والقومُ زارُهُمُ وأعلى صَوتِهِمْ
تحتَ السيوفِ غماغِمٌ وهريرُ

---

(١) السنابك: حوافر الخيل. وابن المراغة: جرير.
(٢) الطود: الجبل. مشمخر الحوارك: شامخ كالسنام.
(٣) المذكي: الخيل الفتية. جشم: أصاب. العقير: الجريح.
(٤) خلج الأعنة: شدُّ الأرسنة. الجفور: الامتناع عن الضراب.
(٥) الحرد: أن ترفض الإبل السير. الصلادم: جمع الصلدم: الشديد. القرّح: النوق إذا ظهر حملها.

وإذا اللقاحُ غلَتْ فإنَّ قُدورَهُ
خوفٌ لهنَّ بما ضَمِنَّ هديرُ
طلبَ الأزارِقِ بالكتائِبِ إذ هَوَتْ
بشبيبِ غائلةِ النفوسِ غَدُورُ
يرجو البقيَّةَ بعدما حَذَقَتْ بِهِ
فُرَطُ المنيةِ يُحْصُبِ وحُجُورُ[1]
فأباحَ جمعَهُمُ حميداً وانثنى
ولَهُ لوقعهِ آخرينَ زئيرُ

وقال في هجاء القيسين:

البحر الوافر

ألمْ تشكُرْ لنا كَلْبٌ بأنّا
جَلَوْنا عَنْ وجوهِهِم الغُبارا
كَشَفْنا عَنْهُمُ نَزَواتِ قَيْسٍ
ومِثْلُ جُموعِنا مَنَعَ الذِّمارا[2]
وكانوا مَعْشَراً قَدْ جاوَرونا
بِمَنْزِلةٍ فأكْرَمْنا الجِوارا
فلمّا أنْ تَخَلّى اللهُ مِنهُمْ
أغاروا إذْ رأوْا مِنّا انفتارا[3]
فعاقَبْناهُمُ لِكَمالِ عَشْرٍ
ولَمْ نَجْعَلْ عِقابَهُمُ ضِمارا

(١) يحصب: بطن من حِمْيَر. حجور: قوم من همذان.

(٢) الذمار: الدفاع.

(٣) انفتار: فتور وضعف.

وأطْفأنا شِهابَهُمُ جَميعاً
وشُبَّ شِهابُ تَغلبَ فاستَنارا

تحَمّلْنا فلمّا أخمَشونا
أصابَ النّارُ تَستعِرُ استِعارا

وأفْلَتَ حاتمٌ بِفُلولِ قَيْسٍ
إلى القاطولِ وانتَهَكَ الفِرارا[1]

جزَيْناهُمْ بما صَبَحوا شُعَيْثاً
وأصْحاباً لَهُ ورَدوا قَرارا[2]

وخيرُ مَتالفِ الأقوامِ يوماً
على العَزّاء عَزْماً واصْطبارا[3]

فمَهْما كانَ مِنْ الم فإنّا
صَبَحْناهُمْ بهِ كاساً عُقارا[4]

فلَيْتَ حديثَنا يأتي شُعَيْثاً
وحَنْظَلَةَ بنَ قيسٍ أوْ مرارا[5]

بما دِنّاهُمُ في كلِّ وجْهٍ
وأبْدَلْناهُمُ بالدّارِ دارا

فلا راذانُ تُدْعى فيهِ قيسٌ
ولا القاطولُ واقتنصُوا الوِبارا[6]

---

(١) حاتم: ابن النعمان الباهلي.

(٢) شعيث: رجل من تغلب.

(٣) العزّاء: الضيق.

(٤) عُقار: خمرة معتّقة.

(٥) حنظلة: أحد بني تغلب.

(٦) راذان والقاطول: موضعان.

صَبَرنا يَوْمَ لاقَيْنا عُميراً
فأشْبَعْنا مَعَ الرَّخَمِ النَّسارا
وكان ابنُ الحُبابِ أعزَّ عِزّاً
ولَمْ يكُ عِزُّ تَغْلبَ مُسْتعارا
فلا بَرِحوا العُيونَ لِتَنْزلوها
ولا الرُّهَواتِ والتَمسوا المَغارا(١)
وسيري يا هَوازِنُ نَحْوَ أرْضٍ
بها العَذْراءُ تَتّبِعُ القُتارا(٢)
فإنّا حَيْثُ حَلَّ المَجْدُ يوماً
حلَلْناهُ وسِرْنا حَيْثُ سارا

ترَبَّعنا الجزيرة

البحر الوافر

الخمرة والفلاة:

أعاذِلَ ما عَلَيْكِ بأنْ تَرَيْني
أباكِرُ قَهْوَةً فيها احْمِرارُ
تَضَمَّنَها نُفوسُ الشَّرْبِ، حتى
يرُوحوا في جُفونِهِمِ انْكِسارُ
تواعَدَها التِّجارُ إلى أناها
فأطْلَعَها على العَرَبِ التِّجارُ

---

(١) الرهوات: جمع رها: موضع بالعراق.
(٢) هوازن: قبيلة عربية. القُتار: رائحة الطعام.

فأعْطَيْنا الفلاةَ بها، وكانَتْ
تأبّى، أوْ يكونَ لها يَسارُ

أعاذِلَ توشكينَ بأنْ تَرَيْني
صريعاً، لا أزورُ ولا أُزارُ

إذا خفَقَتْ عليَّ فألبَسَتْني
بلامِعِ آلِها، البيدُ القِفارُ[1]

لعَمْرُ أبي لئِنْ قومٌ أضاعوا
لنِعْمَ أخو الحِفاظِ لنا جِدارُ

حَمانا حينَ أعْوَزْنا وخِفْنا
وأطْعَمَ، حينَ يُتَّبَعُ القُتارُ[2]

وأوْقَدَ نارَ مَكْرُمَةٍ ومَجْدٍ
ولم توقَدْ مَعَ الجُشَميّ نارُ

وأطْعَمَ أشهُرَ الشّهْباء حتى
تَصوَّحَ في مَنابِتهِ الحَسارُ[3]

فإذْ دَرَّتْ بكفِّكَ، فاحْتَلِبْها
ولا تكُ دِرّةٌ فيها غِرارُ[4]

---

(١) البيد القفار: الصحاري.

(٢) قُتار: رائحة الطعام.

(٣) الشهباء: عام القحط. تصوّح: يبس. الحسار: الأعشاب البرّية.

(٤) غرار: قلّة.

لست ناسيه

في مدح يزيد بن معاوية
البحر البسيط

بـانَت سُعـادُ، ففـي العَيْنَـين تَسْهيـدُ
واسْتَحـقبـتْ لُبَّـهُ فـالـقلْبُ مـعْمـودُ
وقـد تـكـونُ سُـلَيـمـى غـيرَ ذي خُـلُفٍ
فـاليـوْمَ أخْلَفَ مـن سُعْـدى المـواعيـدُ
لَمْـعاً وإيمـاضَ بَـرْقٍ، مـا يـصـوبُ لـنـا
ولَـوْ بَـدا مـن سُـعـادَ الـنُّـحْـرُ والجيـدُ
إمـا تـريـنـي حَـنـاني الـشُّـيْـبُ مـن كِـبَرٍ
كـالـنُّسْرِ أرْجُـفُ والإنْـسـانُ مـهـدودُ
وقـد يـكـونُ الـصِّـبـا مـنّي بمَـنْـزِلَـةٍ،
يَـومـاً، وتَـقْتـادُني الهِـيفُ الـرَّعـاديـدُ(١)
يـا قـلَّ خـيْرُ الـغَـواني كـيْـفَ رُغْـنَ بـه
فَـشُـرْبُـهُ وَشَـلٌ، فـيـهِـنَّ تصْريـدُ(٢)
أعْـرَضْـنَ مـن شَـمَطٍ في الـرَّأسِ لاحَ بـهِ
فَـهُـنَّ مِـنْـهُ، إذا أبـصَـرْنَـهُ، حِـيـدُ(٣)

---

(١) الهيف: جمع الهيفاء: المرأة الضامرة. الرعاديد: جمع رعديد: الجبان، وقصد الفتيات.

(٢) الغواني: جمع الغانية: الحسناء. الوشل: الماء القليل. التصريد: الشرب دون ارتواء.

(٣) الشمط: اختلاط سواد الشعر ببياض.

قد كُنَّ يَعْهدنَ مني مَضْحَكاً حسناً
ومَفْرِقاً حَسَرَتْ عَنْهُ العَناقيدُ

فَهُنَّ يَشْدونَ مني بَعْضَ مَعْرِفةٍ
وَهُنَّ بالوُدِّ لا بُخْلٌ ولا جُودُ

قد كان عهْدي جديداً، فاسْتُبِدَّ بهِ
والعَهْدُ مُتَّبَعٌ ما فيهِ مَنْشودُ

يقُلْنَ لا أنتَ بَعْلٌ يُسْتَقادُ لَهُ
ولا الشَّبابُ الذي قدْ فاتَ مَرْدودُ

هلْ للشَّبابِ الذي قدْ فاتَ مَرْدودُ
أم هلْ دواءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجودُ

لن يَرْجعَ الشَّيبُ شُبَّاناً، وَلن يجِدوا
عِدْلَ الشَّبابِ لَهُمْ، ما أوْرقَ العُودُ

إنَّ الشَّبابَ لَمَحْمُودٌ بشَاشَتُهُ
وَالشَّيْبُ مُنْصَرِفٌ عَنْهُ ومَصْدُودُ

إنِّي وجَدْتُ ألذَّ العيشِ تجمعهُ
خودٌ خبرنجةٌ ممكورةٌ رودُ[1]

هيفاء بهكنةٌ نضحَ العبيرُ بها
بيضاءَ زُيِّنَ منها النحرُ والجيدُ[2]

والشذرُ والدرُّ والياقوتُ فصَّلهُ
نظمُ الزمردِ فوق الجيدِ معقودُ

---

(١) خَود: حسناء. خبرنجة: ناعمة. ممكورة: ممتلئة الساقين. رود: بطيئة السير.

(٢) بهكنة: حسناء شابة.

دعهنّ عنك لمن أصبحن همّتهُ
فإنّما همُّهنّ الفتيةُ الغيدُ
أمّا يزيدُ، فإنّي لستُ ناسيَهُ
حتّى يُغيّبني في الرَّمس ملحودُ[1]
جَزاكَ ربُّكَ عن مُستَفرَدٍ، وَحَدٍ
نَفاهُ عن أهلِه جُرْمٌ وتَشريدُ
مُستشرَفٌ قد رماهُ النّاسُ كلُّهمُ
كأنّهُ، مِن سَمومِ الصّيفِ سَفّودُ[2]
جَزاءَ يُوسُفَ إحساناً ومَغفِرَةً
أوْ مِثلَ ما جُزِيَ هارُونٌ وَداودُ
أوْ مِثلَ ما نال نوحٌ في سَفينَتِهِ
إذِ اسْتجابَ لنوحٍ، وهُوَ مَنجودُ
أعطاهُ مِن لَذّةِ الدُّنيا وأسكَنَهُ
في جَنّةٍ نِعمَةٌ فيها وتَخليدُ
فما يزالُ جدا نُعماكَ يُمطِرُني
وإن نأيتُ وسَيبٌ منكَ مَرفودُ[3]
هَلْ تُبلغَنّي يَزيداً ذاتُ مَعجَمَةٍ
كأنّها صَخرَةٌ صَمّاء صَيخودُ[4]
مِنَ اللّواتي إذا لانَتْ عَريكَتُها
كانَ لها بَعدَهُ آلٌ وَمجلُودُ[5]

(١) الرمس: القبر.
(٢) السموم: رياح الصيف الحارّة.
(٣) الجدا والسيب: الكرم والعطاء.
(٤) صيخود: صلبة.
(٥) الآل: السراب. مجلود. شديد الصبر.

تهْدي سَواهِمَ يَطْويها العَنيقُ بنا
فالعِيْسُ مُنْعَلَةٌ أقرابُها سُودُ[1]
يلْفَحُهُنْ حرُورُ كلُّ هاجِرةٍ
فكُلُّها نَقِبُ الأخْفافِ، مجْهُودُ[2]
كأنّها قاربٌ أقرى حَلائِلَهُ
ذاتَ السَّلاسِلِ، حتّى أيْبسَ العُودُ
ثُمّ تَرَبَّعَ أُبْلِيّاً، وقدْ حَمِيَتْ
مِنْها الدَّكادِكُ والأُكْمُ القَراديدُ[3]
فظَلّ مُرْتَبِياً والأُخْذُ قدْ حَمِيَتْ
وظَنَّ أنَّ سَبيلَ الأُخْذِ مَثْمودُ[4]
ثُمَّ اسْتَمَرَّ يُجاريهنَّ لا ضَرَعٌ
مُهْرٌ، ولا ثَلِبٌ أفْناهُ تَعْويدُ[5]
طاوِيَ المِعا لاحَهُ التَّعْداء صَيْفَتَهُ
كأنّما هوَ، في آثارِها، سِيدُ[6]
ضَخْمُ المَلاطَيْنِ مَوّارُ الضُّحى هزِجٌ
كأنَّ زُبْرَتَهُ، في الآل، عُنْقودُ[7]

(١) عنيق: سير سريع.
(٢) نَقِب: مثقوب.
(٣) القراديد: الأماكن الصعبة. الأكم: المرتفعات.
(٤) الأخذ: أمكنة حبس الماء. المثمود: بقية الماء.
(٥) ثلب: عود كبير.
(٦) طاوي المعا: ضامر. التعداء: الجري.
(٧) الملاطين: الكتفين.

يَـنْـضَـحْـنَـهُ بِـصـلابٍ مـا تُـؤيِّـسُـهُ
قـدْ كـانَ في نَـحْـرِهِ مِنْهُـنَّ تَـقـصِـيـدُ[1]
وَهُـنَّ يَـنْـبُـونَ عـنْ جَـابِ الأديـمِ ، كـما
تَـنْـبُـو عَـنِ الـبَـقَـرِيّـاتِ الجـلامـيـدُ[2]
إذا انْـصَـمـى حَـنِـقـاً حـاذَرْنَ شِـدَّتَـهُ
فَـهُـنَّ مِـنْ خَـوْفِـه شَـتّى عَـبادِيدُ[3]
يَـنْـصَـبُّ في بَـطْنِ أَبْـلِيٍّ وَيَـبْـحَـثُـه
في كـلِّ مُـنْـبَـطِحٍ مِـنْـهُ أخـاديد[4]
إذا أراد سـوى أطْـهـارِهـا، امْـتَـنَـعَـتْ
مِـنْـهُ سَراعـيـفُ أمْـثـالُ الـقـنـا قُـودُ[5]
يَـصِـيـفُ عنْهُـنَّ، احـيـانـاً، بِمَـنْـخَـرِهِ
فَـبـالـلّبـانِ وبـالـلِّيـتَـيـنِ تَـكْـدِيـدُ[6]
يَـنْـضِـحْـنَ بـالـبَـوْلِ أوْلاداً مُـغَـرَّقَـةً
لَمْ تَـفْـتَـحِ الـقُـفْـلَ عـنْهُـنَّ المقـالـيـدُ[7]
بـنـاتُ شـهـرَيْـنِ، لم يَـنْـبُـتْ لهـا وَبَـرٌ
مِـثْـلُ الـيَرابِـيـعِ حُمْـرٌ هُـنَّ أو سـودُ[8]

---

(١) ينضح : يضرب. تؤيّس: تؤثر. التقصيد: آثار الحوافر وسيلان الدم.
(٢) الأديم: الجلد. الجلاميد: جمع الجلمود: الصخر الصلب.
(٣) عباديد: متفرقون.
(٤) أخاديد: جمع أخدود: خندق.
(٥) سراعيف: طوال. قود: جمع قوداء: طويلة العنق.
(٦) يصيف: يبتعد. اللبان: الصدر. التكديد: آثار الحوافر في الصدر.
(٧) المقاليد: المفاتيح. وأصله الأقاليد.
(٨) اليرابيع: جمع يربوع.

مِـثْـلُ الـدُّعَـامِـيصِ فِي الأرْحَـامِ غَـائِـرَةً
سُـدَّ الْخَـصَـاصُ عَلَيْـهَـا، فَـهْـوَ مَسْـدُودُ[1]

تَمُـوتُ طَـوْراً، وَتَحْـيَـا فِي أَسِرَّتِهَـا
كَـمَا تَـقَـلَّبُ فِي الـرُّبْطِ الْمَـرَاوِيـدُ[2]

كَـأَنَّ تَـغْـشِـيَـرهُ فِـيـهَـا، وَقَـدْ وَرَدَتْ
عَيْنَيْ فَصِيـلٍ قُبَيـلَ الصُّبحِ تَغْـرِيـدُ

مِـثْـلُ الـذِّيَـابِ إذا مَـا أَوْجَـسُوا قَـنَـصاً
كَـانَـتْ لَهُـم سَـكْـتَـةٌ مُـضْـغٍ وَمَـبْـلُودُ

بِـكُـلِّ زَوْرَاءَ مِـرْنَـانٍ أُعِـدَّ لَهَـا
مُـدَاخَـلٌ صَـحِـلٌ بِـالـكَـفِّ مَـقْـدُودُ[3]

عَـلَى الشَّرَائِـعِ مَـا تَـنْـمِي رَمِـيَّـتُـهُـمْ
لَهُـمْ شِـوَاءٌ، إذا شَـاءُوا، وَتَـقْـدِيـدُ[4]

---

(١) الخصاص: الرحم.

(٢) المراويد: الخيل التي لا تهدأ.

(٣) الزوراء: القوس. مرنان: تحدث رنيناً. المداخل: الوتر المشدود. مقدود: مشدود.

(٤) الشرائع: جمع الشريعة: مورد الماء. تقديد اللحم: تجفيفه.


أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

ثبت المراجع والمصادر

الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي (مصوَّرة عن طبعة دار الكتب).

طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢/١٩٨٨.

الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢/١٩٨٥.

معجم الأدباء، ياقوت، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١/١٩٩١.

الأعلام، الزركلي، در العلم للملايين، بيروت ط ٧/١٩٨٩.

ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١/١٩٨٦.

ديوان النابغة الذبياني، دار صعب، بيروت.

ديوان جرير، دار صادر، بيروت.

ديوان الأعشى، مكتبة الآداب، القاهرة.

التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٦.

تاريخ الأدب العربي/٢، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧.

محاضرات في أدب العصر الأموي وحضارته، د. ثريا ملحس، دار الجامعة اللبنانية، بيروت.

تاريخ الأدب العربي/١، كارل بروكلمان، دار المعارف، ط ٤.

حياة الحيوان الكبرى، الدميري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الفهـرس

الفصل الأول
الأحوال العامة في العصر الأموي

الفصل الثاني
الأخطل، نشأته وسيرته

الفصل الثالث
أغراضه الشعرية